13 me Année No. 617

Lundi - 30 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦١٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتاب جديد من الكتب القيمة التى تدرس فيها مسائل الإجتماع على الطريقة العصرية الحديثة، وتتقرر فيها الآراء بسند من الإحصاء والاستقصاء والوصف والمقابلة والتحليل

ألفه الاستاذ على عبد الواحد وافى أستاذ علم الإجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وأداره على موضوع الأسرة والمجتمع، فلخص فيه مشاهدات العلماء الثقات فى مسائل علم الأجناس وعلم وصف الإنسان، ولم يلتزم فيه وجهة نظر واحدة من وجهات النظر الكثيرة التى يذهب إليها أولئك العلماء، ولكنه أجلها ووازن بينها ورجح بعضها فى موضع وبعضها الآخر فى غيره على ما تبين له من وجوه الصواب.

ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة، ولكنه على هذا مطرد السياق متتابع الفصول، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع

وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى كما جاء فى الفصل الثالث حيث قال: « قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن نظام الأسرة الإنسانية قائم على دوافع الغريزة وصلات الدم ومقتضيات الطبيعة، وانه لايكاد يختلف فى دعائمه عن نظائره فى الفصائل الحيوانية الأخرى. فيظن هؤلاء أن العلاقة بين الزوج وزوجه، والرابطة بين الأولاد وآبائهم، وشفقة كبار الأسرة على صغارها وحرصهم على تربيتهم وما يقوم به كل من الأب والأم من وظائف فى الحياة العائلية ... يظنون أن كل أولئك وما إليه من الأمور التى يتألف منها نظام الأسرة الإنسانية يسير وفق ما تمليه الغرائز الفطرية، وتوحى به الميول الطبيعية شأنه فى ذلك شأن أشباهه فى عالم الحيوان. ولكن نظرة يسيرة إلى الحقائق التى ذكرناها فى الفصلين السابقين تدلنا على فساد هذا الرأى. فمن هذه الحقائق يتبين لنا فى أوضح صورة أن نظم الأسرة تقوم على مجرد مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى، وقواعد تختارها المجتمعات، وأنها لا تكاد تدين بشىء لدوافع الغريزة؛ بل إن معظمها يرمى إلى محاربة الغرائز أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعى. فقد ظهر لنا مما سبق أن النظم العائلية تختلف فى جميع مظاهرها باختلاف الأمم والبيئات وتختلف فى الأمة الواحدة باختلاف العصور » .

تلك هى خلاصة الكتاب، وهى خلاصة توافق رأى الكثيرين من علماء الإجتماع، وليس فيهم من يخالف الواقع فيما يثبته من

التجارب والمشاهدات ، ولكن النتيجة مع هذا لا تتحقق على وجه الحتم واللزوم فى جميع تلك المشاهدات .

لأن اختلاف النظم العائلية بين الأمم أو اختلافها فى الأمة الواحدة بين العصور لا يقطع الصلة بينها وبين الغريزة ولا يجعلها عملاً مستقلاً عنها غير متأثر بدواعيها

وإلا لوجب القول بأن الغرائز الإنسانية قد بطلت وبطلت آثارها فى جميع الأحوال التى تلابس الحياة الإجتماعية ، لأن الحياة الإجتماعية تنظم تلك الغرائز على ضروب شتى من النظم لا تزال مختلفات فى جميع الأمم وجميع العصور . فغريزة حفظ البقاء معدومة إذن لأن الناس يتقون الخطر ويجلبون الأمن ويستشفون من الأمراض بما لا يحصى من أساليب السكن واللباس والطعام والطب والدواء والسلاح ، ولا يزالون على اختلاف فى هذه الأشياء بين الأمم والأجيال .

والقوانين التى تروض الجشع والعدوات أو تروض الشر بضروبه لا تتفق بين الناس على اختلاف الأمم والأجيال ، فهى إذن تقول لنا باختلافها وتطورها إنها شىء منعزل عن الغرائز الإنسانية لايتأثر بدواعيها ولاباعث لها إلا تلك المصطلحات التى يرتضيها العقل الجمعى والقواعد التى تختارها المجتمعات .

وكل أولئك لا يقال ولا يعقل إذا قيل ، فلماذا يقال إن الغريزة بمعزل عن الأسرة ، لأن نظام الأسرة متعدد متجدد من قديم الزمان ؟

إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان فى كل أسرة وفى كل شعب وفى كل جيل ، وهما حضانة الطفل والألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء ، وكلا هذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه فى جميع الأجناس وجميع العصور .

فمن الخصائص الفطرية فى الإنسان أنه طويل الحضانة لأطفاله ، ضرورة لازمة لا دخل فيها للمجتمعات ولا لقوانين الاجتماع ، ومن هذه الخصائص أنه يحتاج إلى الألفة الحميمة بينه وبين فرد آخر أو أكثر من الأفراد ، أياكانت حالة الاجتماع من القبيلة البدائية إلى جامعة اللغات والعناصر والأديان

وكل أسرة وجدت بين الناس فهى محاولة مستمرة لتحقيق هذين الغرضين الغريزيين ، ولولاهما لما كان هذا الإصرار على خلق الأسرة ومحاولة تحسينها وتنظيمها فى كل مكان .

وما هو الأثر الذى يترتب على إلغاء الأسرة بأنواعها المعروفة بين الأجيال البشرية ؟

إن أول الآثار التى تشاهد فى هذه الحالة أن الناس يخلقون الأسرة بما يشبهها وينوب عنها ، فلا يكفيهم مجرد الاجتماع فى مكان واحد ولا يغنيهم أنهم يشتركون فى المأكل والمشرب مئات وألوفا كما يحدث فى الجيوش والأديرة والمدارس الداخلية ، ولكنهم يخلقون حنان الأسرة ورعاية الأبوة والأمومة خلقا يعلمون أنه اصطناع ولا يستغنون عنه مع علمهم أنه اصطناع . فتظهر أسماء التحبيب والتصغير فى الجنود ، ويتسمون بأسماء « تومى وجونى » كأنهم أطفال صغار ، وتظهر الحيوانات الداجنة التى يعطف عليها المعسكر كما يعطف على أبناء البيت ، وتظهر أمومة الكنيسة وأحضان المدرسة وأخوة الدير وأشباه هذه القرابات ، وهى شىء غير ألفة الاجتماع بين الناس بمعزل عن هذه القرابات « العائلية » التى يخلقها المجتمعون معها حتى لو وجدت لكل فرد منهم علاقته العائلية بذويه .

وإذا فقد الإنسان هذا الشعور الحميم لم يكن قصارى الأمر عنده أنه يعانى « النقص الاجتماعى » فى أخلاقه القومية أو أخلاقه الإنسانية ، بل كان من جراء ذلك أنه يعانى نقصا « بيولوجيا » يؤثر فى الغريزة والعقل ويدل على أن المسألة فى أصولها مسألة الحياة لا مسألة الأوضاع والأنظمة والقوانين .

ومن الصفات المشتركة بين جميع الأسر فى جميع الشعوب والأجيال أنها قيد للعلاقات الجنسية ملحوظ فيه مصير النسل على نحو من الأنحاء . فكل أسرة هى ضابط للنسل وليست وحدة من وحدات البنية الاجتماعية الكبيرة وكفى ، ولا عجب فى

اختلاف الضوابط والقيود ، بل العجب كل العجب أن تتفق كل الاتفاق من المحاولة الأولى إلى المحاولة الأخيرة ، فإن ذلك هو المستحيل الذى لا يخطر على البال فضلا عن انتظاره وتعليق الاعتراف بالغريزة فى تكوين الأسرة عليه .

ولا نقول إن هذا الضابط مقصود لغاية من الغايات أو غير مقصود ؛ ولكننا نقرر المشاهد حين نقول إن منع الزواج من المحارم قد أفضى بالنوع الإنسانى إلى ثروة شعورية لم يكن ليطمع فيها بغير هذه الوسيلة ، فكأنما يتجه النوع الإنسانى من قديم الزمن إلى « تخليص » الشعور وتنويعه فى العلاقة بين الأقربين والبعداء ، فلا يشعر الرجل بالمرأة الأخت أو الأم ، كما يشعر بالمرأة الزوج أو المرشحة للزواج ، ولا تزال هناك ضروب من العطف بين الأقربين لا تقتصر على ضرب واحد ولا تتشابه فيها الأواصر والصلات . ومعنى ذلك أن الإنسان يحرص على أنواع كثيرة من القرابة العائلية ولا يريد أن يخلطها بعلاقات المجتمع الذى لا قرابة فيه.

إن أواصر القرابة تختلف بين الأمم والأجيال فتشمل فى أمة ما تستثنيه فى أمة أخرى ، وتنكر فى هذا الجيل ما تعترف به فى ذاك . ولكن هل يقع هذا الاختلاف لو لم يكن فى طبيعة الإنسان استعداد للشعور بالقرابة أياً كان عنوان القريب ؟ وهل أنكر الإنسان قط قرابة من القرابات إلا ليعترف بقرابة تعدلها أو تنوب عنها ؟ وهل أنكر ما أنكره طويلا دون أن يعود إليه ؟

فالغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى جميع هذه الأحوال ، والفطرة الإنسانية أحوج فطرة بين الأحياء إلى النشأة فى أسرة والاتصال بقرابة عائلية . ويغلو فى القول من يرجع بكل ظاهرة من ظواهر الأسرة إلى الاجتماع لأن الناس يعيشون جماعات جماعات .

فإن انتساب الفرد إلى أمة لا يغنيه عن النشأة العائلية بحال من الأحوال ، ولو جاء الوقت الذى تهدم فيه الأسرة وتلغى فيه الأمومة والأبوة لتحل فى محلها « تربية المجتمع » لكان ذلك تبديلا فى الخلق ولم يكن تبديلا فى النشأة الاجتماعية وكفى ، لأن الفطرة قد عودت الأحياء أن يخدم الفرد نوعه ، وهو يشعر بأنه يخدم نفسه لفرط ما يخالجه من اللذة والسرور بإنجاب الذرية . فاذا لو قيل غداً إن اللذة الجنسية ليست أصلا فى دوام النوع ، وإن الحمل قد يتم بغير هذه اللذة التى يشعر بها الآباء والأمهات ؟

إن من يقول بذلك لن يكون فى مقاله أغرب ممن يزعم أن المجتمع ينشئ الأطفال بغير حضانة الأمهات والآباء ، وأن الفطرة تستقيم على هذه التنشئة لأنها وضع من أوضاع الاجتماع

ولقد أحسن صاحب الكتاب فى تسجيل المشاهدات وتقرير وجهات النظر بين العلماء ، وكتابه من هذه الناحية أوفى كتاب ظهر بالعربية فى هذا الموضوع ، ولكنه تجاوز حد المشاهدات التى أثبتها حين بنى عليها الفصل بين الغريزة ونشأة الأسرة أو تطورها . فإن تلك الشاهدات لن تبلغ بنا ذلك الحد الذى ذهب إليه ، ولن تثبت لنا إلا أمراً واحداً لا تعداه هو عمل المجتمع فى الأسرة ، وهو عمل من البداهة بمكان ، ولن يلجئنا توكيده إلى الفصل بينه وبين الغرائز الفطرية ، فهى لن تنفصل عن وضع من الأوضاع المتواترة بين الناس .

عباس محمود العقاد

تأييد لاقتراح «الرسالة»

للأستاذ علي الطنطاوي

ما تفتأ الأفكار تحمل وتلد ، وما تني المطابع تتلقى الولائد وتلفها بالثياب ، وتخرجها للناس كتباً ، فلا يدري القارئ من كثرتها ماذا يقرأ ، ويحار المرء من تعددها ماذا يختار . ولكن العبقري في الكتب كالعبقريّ في الناس ، لا تراه الدنيا إلا مرة واحدة في الدهر الطويل ، ولا يكون إلا واحداً في ملايين . أحص السابقين من العباقرة في الأمم كلها تجدهم قد جمعهم لقلتهم سجل واحد ، وضمت أسماءهم صحيفة ، ثم اذكر كم من ملايين البشر عاشوا معهم ، وتنفسوا الهواء الذي كانوا يتنفسونه ، وأكلوا من الطعام الذي كانوا يأكلونه ، ثم طوتهم الأيام ، ونسيهم الناس ، فكأنهم ماولدوا ولاعاشوا ، بل ربما كان في هؤلاء المنسيين بحق ، المجهولين من كانت له دنيا أعرض من دنيا أولئك العبقريين ، وكانوا يتمنون الأقل منها فلا يصلون إليه ، وكانت لهم منزلة وكان لهم سلطان ، ولكن الزمان محّص الحقائق ، وماز الأباطيل ، فإذا ذلك السلطان زَبد يذهب جفاء ، وإذا العبقرية تمكث في الأرض لأنها تنفع الناس . وكذلك الكتب ، فربّ كتاب يطبّل له ويزمر ، ويقام له ويقعد ، وآخر لا يدري به أحد ، يبطل الزمان الأول ، ويبقى الثاني خالداً . ولقد قرأت في بعض ما قرأت من شعر الإفرنج كلمة أحسبها لتيوفيل غوتييه يقول فيها مخاطباً الملك العظيم لويس الرابع عشر : « لقد نسي التاريخ اللآلئ التي كانت في تاجك أيها الملك ، ولكنه لا يزال يذكر الرقع التي كانت في حذاء كورني » . كما نسي التاريخ ألوف الأمراء والملوك إلا ما خلده شاعر حين أمر اسمه على لسانه في قصيدة من قصائده .

هؤلاء الرجال العبقريون ، وهذه الكتب العبقريات ، التي لا تقوى حدود البلدان ، ولا فوارق اللسان ، على إبطال فتنتها ، وإذهاب روعتها ، هذه الكتب (قدر مشترك) بين أبناء الشعوب المتمدنة كلها ، ليست لشعب ولا لجيل ، لأنها حديث القلوب فهي لكل ذي قلب ، ولغة القلوب واحدة وإن اختلفت الألسنة وتعددت البلدان ، فما يليق بأمة لها شعور وكرامة وعقل ، أن تجهل هذه الكتب ولا هؤلاء الرجال .

« • »

أكتب هذا تعليقاً على مقالة الأستاذ الزيات في العدد الماضي من الرسالة . وإذا كتب الأستاذ في موضوع لم يدع فيه ركناً يعرض له بالوصف مثلي ، لأنه يوفي فيه على الغاية ، ويبلغ في الإجادة فيه النهاية ، وما علقت مستدركا بل مؤيداً ومردداً ، وليكون لي في هذه الدعوة المباركة نصيب .

ولقد عادت بي مقالة الأستاذ إلى أيامي الخوالي حين قرأت قصة (رفائيل) أول مرة ، بإذن من أستاذنا شيخ أدباء الشام سليم الجندي ، وكان يحرم علينا أن نلمّ بشيء من الأدب الحديث أو ننظر في جريدة من الجرائد ، قبل أن نتمكن من الأدب القديم ، ونألف الصياغة العربية ، وتستقيم ملكاتنا على طريق البلاغة السويّ خشية أن تدخل جراثيم العجمة إلى أسلوبنا ، وأن يفشو الضعف في بياننا ، فلما سألته عن قصة رفائيل غداة صدورها هل أقرؤها ؟ نظر فيها ثم أذن لي بقراءتها لأنه رآها بليغة الأسلوب ، صافية الديباجة ، سليمة اللغة ، سامية البيان ، فكانت أول ما قرأت من الأدب الحديث بعد (النظرات) ولاوالله لا أستطيع أن أصف أثرها في نفسي ولا في خيالي ولا في قلمي ، ولا أملك حتى الإلمام بذلك إلماماً ، لأنه شيء فوق الوصف وإنما أعترف أنها أحد المصنفات القلائل التي كانت غذاء أدبي من الكتب الجديدة ، بعد أن غذيته بأمهات كتب الأدب القديم . وقرأت (آلام فرتر) فكان لها مثل ذلك الأثر ، ثم افتقدت هذا اللون من الأدب فلم أجده ؛ ثم وجدت شبهه في مثل (عطيل) مطران و (مرجريت) زكي و (فاوست) عوض وإن كانت هذه من قماش وتلك من قماش ، وإن اختلف النسج وتغيرت الديباجة ، وأمثال (تأبين فولتير) التي نقلها (المنفلوطي) إلى العربية بقلم أحسب لو أن (هوغو) كان عربياً ما كتبها بأبلغ منه ؛ كما أن لامارتين لم يكن ليكتب قصته ولا جوت كتابه ، خيراً مما كتبهما

الزيات ولو خلقا عربيين من أبين العرب . وإنى حين أقرأ اليوم هذه الروائع من أدب الغرب مترجمات فى (روايات الجيب) مثلا أكاد أخرج من ثيابى غيظاً وغضباً لهذه المعانى الكريمات تجىء فى هذه الكلمات ، وأسفاً على هذه العرائس الفاتنات تخرج فى هذه الثياب الأخلاق الباليات . وأفكر لو أن الله قيض لقصة (ذهب مع الريح) مثلا أو (الفندق الكبير) أو (الأم) وأمثالها الكثيرات من عبقريات القصص العالمية التى ترجمها كتاب روايات الجيب ، ونشكرهم على كل حال على حسن اختيارها ، وبذل الجهد فيها ؛ إذ لم يدخروا فى التجويد وسعاً ؛ لكن البلاغة درجات ، والكتاب طبقات ؛ لو أن الله قيض لها قلماً لدناً قوياً ، لا يضعف فينكسر ولا يقوى فيؤذى ، فترجمت بأسلوب عذب بليغ ، لا يصح من غير جمال فيجف ويجمد ، ولا يجمل من غير صحة فيميع ويسيل، لكان منها لهذا النشء مدرسة ، الله وحده يعلم كم كانت تخرج لهذه الأمة من كتاب . وليست العبرة فى الترجمة بنقل المعنى المجمل للقصة بل بنقل التفاصيل الفنية الدقيقة والصناعة الناعمة ، وطريقة عرض الفكرة ، وأسلوب تصور المشهد .

ولو أن المعنى المجمل هو المقصود للخصت قصة يوسف مثلا فى كلمات وضاع إعجاز السورة وجمالها الإلهى ، ولكانت كل قصص الحب فى الأدب متشابهة لا تخرج عن أن رجلا أحب امرأة حباً عاطفياً أو جسمياً ، فوصل إليها أو حيل بينه وبينها ؛ فهذه أنواع أربعة للقصص الغرامية ينشأ منها أربع قصص فقط ويكون الباقى كله لغواً . مع أن فى كل قصة جوًّا خاصاً بها ودنيا لها وحدها ، لا تغنى فى المتعة الروحية بها قصة منها عن قصة ، وما ذاك إلا لاختلاف الدقائق والتفاصيل ، ولا يظهر هذه الدقائق والتفاصيل إلا قلمٌ بليغٌ ، بصير بمواقع الكلام ، عارف بأوجه الدلالة فى الألفاظ ، له الحاسة الخفية التى يفاضل فيها بين الكلمات ويحسن انتقاءها ، إذ ربّ كلمتين بمعنى، وبين إحداهما والأخرى مثل ما بين البلاغة والعىّ . ورب كلمة فى لسان لها جوّ ولها مدلول ، وتحيطها ذكريات عند أهل ذلك اللسان ، لا يمكن أن تجىء بها مرادفتها فى اللسان الآخر ، ومن هنا علت بعض النصوص كالقرآن مثلا عن الترجمة واستحال أن تنقل إلى غير لغتها .

***

ونحن اليوم فى أشبه العصور بعصر المنصور والمأمون ، أمة كانت معتزلة منطوية على نفسها ، ثم اتصلت بأمم غيرها لها مدنيات ولها علوم ، فإذا استمرت على عزلتها علت عليها تلك الأمم بعلمها وقويت، وإن تعلمت ألسنتها لتفهم علومها، أضاعت لسانها وعصبيتها: فلم يبق إلا أن تنقل كتب تلك الأمم إلى لسانها ، فتزداد به غنى فى الأفكار وفى طرق التعبير ، ثم تفهمها وتسيغها وتهضمها كما يقولون ثم تنشىء مثلها إنشاء .

ونحن فى الواقع لا نستغنى عن الترجمة ولا نقلّ منها ، ولكنا نسىء الاختيار فندع الكتاب العبقرى الفذّ الذى يعد واحداً من مائة كتاب هى خلاصة آداب الأمم كلها ونترجم الكتاب لا فائدة فيه . ثم نسىء التعبير فلا ننقل هذه الكتب إلى العربية وإنما نضع فى مكان ألفاظها الأعجمية ألفاظاً عربية ، ولا يقدر على الترجمة الصحيحة إلا متمكن من اللغتين ، بليغ فى اللسانين ، يقرأ الفقرة ثم يفهمها ثم يدعها تخالط روحه وتصير كأنها له ، ثم يعبّر عنها بلسانه ، ويزيّنها بجمال بيانه .

***

والأستاذ الزيات يوجه كلامه إلى معالى الأستاذ السنهورى بك الذى عرفناه فى بغداد ودمشق عالماً قبل أن نعرفه وزيراً. ونحن نعلم وجه الصواب فى الأمر ولا نملك تحقيقه ، والوزراء على الغالب يملكون ولا يعلمون . فلما جاء الوزير العالم الذى يعرف الحق ويقدر عليه ، كان موضع الأمل ، ومحل الرجاء ، فإذا ألهمه الله أن يفعل فقد أراد الخير لهذه الأمة على يديه .

بقيت كلمة للأستاذ الزيات ، هى أنه ترجم فكان أبرع المترجمين ، فلماذا لا يكمل ما بدأ به ، ويترجم لنا قصة (غرازيلا) ثم (جوسلان) ؟ وينتقل بعد ذلك إلى غير لامارتين من أمراء البيان ، وأئمة الأدب فى كل لسان ؟ وما فيمن سيجمعهم معالى الوزير السنهورى فيما أظن من هو أقدر على ذلك من الزيات وأولى به .

الجواب عندك يا أستاذنا !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

على هامش النقد

التعاون الثقـــافي

بين الأقطار العربية

تأليف الأستاذ عبد الله مشنوق

للأستاذ سيد قطب

هذا كتاب جيد في موضوعه ... وليس هو كتاباً أدبياً ولا فنياً ، ومع هذا نفسح له مكاناً « على هامش النقد » لأنه الكتاب الأول في هذا الموضوع ، ولأنه يعالجه معالجة دقيقة واضحة ، ويترجم « التعاون الثقافي بين الأقطار العربية » إلى حقائق واقعة ، واقتراحات عملية ، في أسلوب تقريري بسيط ، يعجبني في أمثال هذه الموضوعات ، وأفضله ألف مرة على الأساليب البيانية والاستعارات اللولبية ، والتفاصح الذي ينيظ !

والموضوعات التي تناولها المؤلف الفاضل في كتابه حين تستعرض استعراضاً سريعاً تكفي لبيان اتجاهاته ، وقد جاءت في الكتاب بهذا الترتيب :

« بين التعاون والتوحيد . الطغيان الثقافي . ليس التعاون بدعة . التعاون أداة تقدم . الشعوب العربية المتعاونة وموقف التعاون من الغرب . ميادين التعاون الثقافي . المناهج : الأهداف والاتجاهات العامة ، أقسام الدراسة وأنواعها ومراحلها وشهاداتها ، مواد الدراسة في مختلف المراحل والسنوات . تحضير المعلمين . الكتاب ، مجلة للصغار ، وسائل الإيضاح . تنظيم المعادلات بين الشهادات : المعادلات مع الخارج ، البكالوريا العربية . البعثات العلمية : تبادل البعثات بين الأقطار العربية . تبادل الأساتذة : الأساتذة الزائرون ، الخبراء الفنيون . المجامع اللغوية والعلمية : الخمسون الخالدون ، المعجم الجديد ، المصطلحات العلمية ، تتويج روائع العلم ، إصلاح الحروف العربية ، الموسوعة العربية . المدارس والجامعات . المكتبات العامة . التأليف والترجمة والنشر » .

* * *

عالج المؤلف الفاضل هذه الموضوعات كلها بروح عملية ، لا تشط في الخيال ، ولا تقف مكتوفة اليدين أمام العقبات . ومن هنا قيمة الكتاب . فلقد استحال هذا التعاون المنشود حقيقة عملية في حيز الإمكان . وأحسب أن الشرق العربي سيتلفت ليجد أمامه الوسائل ميسرة لتحقيق هذا التعاون ؛ وسيجد منها الكثير بين يديه حاضراً مهيئاً ، والبقية ليست عنه ببعيدة . والمهم أن كلمة « التعاون » لا تبقى بعد هذا البيان أملاً غامضاً مبهماً . بل تصبح حقائق ووقائع في متناول التفكير والتنفيذ .

وأمر آخر يقرره هذا الكتاب في نفوس القراء .

إنه يُطلع الشرق العربي على دخيلة نفسه وحقيقة حاله ! لحاجاته الثقافية ، والوسائل التي يملكها لسد هذه الحاجات ، يضعها المؤلف بمهارة وبساطة تحت عين هذا الشرق العربي . وكأنما يرفع في وجهه المرآة ليراه !

والذين يستطيعون أن يرفعوا المرآة في وجه الشعوب ببساطة فائقة ومهارة كبيرة قليلون جداً بين الباحثين والكتاب . والذين يستطيعون أن يرفعوا هذه المرآة في اللحظة المناسبة هم أقل من القليل . ومن هؤلاء الأخيرين الأستاذ عبد الله مشنوق الأديب اللبناني صاحب هذا الكتاب !

وهو يرفع المرآة في وجه الشرق العربي ليقول له : إنه في حقيقته وحدة متعاونة ، وأجزاء متكاملة . وهو لا يعتمد في تقرير هذه الحقيقة على الأساليب الحماسية ، بل يبدو أن هذه الحقيقة جزء طبيعي من إحساسه العادي بالمسألة . فحين يتحدث عن بعثات أمم الجامعة العربية إلى البلاد الأوربية ينظر إليها كأنها بعثات بلد واحد ، لتلبية حاجة البلد الواحد ، ويصوغ رأيه فيها بهذه البساطة العميقة :

« أما التعاون بين العرب في البعثات إلى الخارج ، فأمر يحتاج إلى تنسيق حتى تكون الجهود منسجمة ، فلا يحدث تضخم

فى ناحية من نواحى الاختصاص ، وتحط فى النواحى الأخرى ؛ فليس من الضرورى أن يتخصص رجال كل قطر فى وقت واحد فى الجامعات العربية فى علم الآثار والعاديات والقانون والآداب والفلسفة واللغات القديمة وفن القتال والهندسة وعلم المعادن والزراعة والميكانيك ومختلف الصناعات ، وما إليها من أنواع التخصص ، لأن أمثال هذه البعثات تكلف موازنات الدول مبالغ قد لا تتحملها . ولذلك يحسن أن توزع هذه النواحى بين الحكومات العربية وفقاً لمقدرتها ودرجة احتياجها ، على أن تتعاون هذه الدول فيما بينها بتبادل الخبراء والأساتذة لسد النقص الناشىء عن هذا التوزيع ... » .

وبنفس هذه الروح يعالج مسألة « تبادل البعثات بين الأقطار العربية » فيسميها « كوتا العلم » ويشبهها بالترخيصات التى يمنحها مركز التموين فى الشرق الأوسط للاستيراد حسب الحاجة الضرورية ! ثم يقول :

« ولعلى لست مخطئاً فى التشبيه عند ما أقول فى معرض حديثى عن البعثات أن ثمة « كوتا » علمية بين الأقطار العربية المتعاونة ، وأن على المكتب الثقافى الدائم فى القاهرة توزيعها بالعدل والقسطاس بين البلدان الشقيقة ، مراعياً فى ذلك الإمكانيات والحاجات الثقافية فى كل بلد متعاون ، فلا يكون تبادل البعثات العلمية مظهراً من مظاهر الفوضى ، بل يخضع لخطة مرسومة مبنية على دراسة علمية صحيحة للحالة الثقافية الراهنة فى مختلف الأقطار العربية . ولن يتم توزيع « كوتا » العلم ما لم تعد كل حكومة عربية تقريراً ضافياً يحتوى على الحد الأقصى لما تستطيع قبوله فى معاهدها العليا والثانوية من طلاب الأقطار الأخرى من جهة ، ويحتوى على ما تشعر بأنها فى حاجة ملحة إلى إيفاده من بعثات إلى الأقطار الشقيقة من جهة ثانية . ومتى تم وضع هذه التقارير وزعت مقاعد الدراسة على ضوئه ، فإذا كانت مصر مثلا قادرة على قبول ١٠٠ طالب فى معهد التربية لإعداد المعلمين ، فإن مهمة المكتب الثقافى الدائم تنحصر فى توزيع هذا « الكوتا » بالعدل بين حكومات الأقطار المتعاونة مراعية فى ذلك المستوى الثقافى فى كل إقليم ، مفضلة الحاجات الملحة السريعة على سواها »

ومن هذه المقتطفات تبدو الروح العامة التى عالج بها المؤلف حقيقة العلاقات بين أمم الجامعة العربية كما تتبين طريقته العملية فى معالجة وسائل التعاون ، وإحالتها إلى حقائق ملموسة ممكنة التنفيذ فى نظام دقيق .

وبمثل هذه الروح عالج جميع الأسس التى يقوم عليها التعاون . ولكن هذا لم يكن كل محتويات الكتاب ، فقد تطرق من أسس التعاون الى موضوعات فى صميم التربية والتعليم ، كمكتبة الطفل ، ومجلة الطفل ، ووسائل الإيضاح ، والأهداف الوطنية والثقافية والروحية من المناهج وكان موفقاً فى هذا كله ، لأنه آثر أن يعالج موضوعاته فى بساطة وعمق وأن يصوغ تعبيره فى قالب دقيق

***

وثمة أمر آخر ساعد المؤلف على النجاح فى دراسته لموضوعه ... ذلك هو الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف . فقد نبه إلى مواطن النقص فى وسائل الثقافة عند كل شعب ، وإلى مواطن الكمال أو التفوق حيثما وجدها بلا تحيز إقليمى لا معنى له .

فهو يقول مثلا عند الموازنة بين هذه الوسائل فى مصر وشقيقاتها : « لقد زرت عدداً كبيراً من المدارس — على اختلاف أنواعها — فى مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ؛ وأستطيع أن أصرح دونما تحيز أو مواربة ، بأن المعاهد المصرية الرسمية تأتى فى الطليعة من حيث أخذها بالأساليب الحديثة فى التربية والتعليم وسخاء الحكومة فى الإنفاق عليها لتتوفر فيها الشروط الفنية ؛ ويشمل قولى هذا المعاهد الابتدائية والثانوية والعليا ، العامة منها والفنية المهنية . لذلك أدعو الأقطار العربية أن تتعرف تماما إلى هذه المعاهد المصرية قبل البدء بإنشاء مدارس جديدة أو القيام بإصلاح عام فى مدارسها القديمة ... »

ويقول فى صدد المعاهد التى تخرج المعلمين فى جميع بلاد الجامعة العربية : « ويوسعى أن أقول جازماً : إنه يتعذر الآن على أية

حكومة عربية إنشاء معهد كدار العلوم العليا لتحضير أساتذة اللغة العربية ، هذا المعهد الذى يتهمه البعض بالرجعية ويود إلحاقه بالجامعة ؛ ولكنه على الرغم من ذلك مفخرة من مفاخر مصر ، ومعقل من معاقل العروبة ، وإليه يعود الفضل الأكبر فيما أنجبته مصر من أساتذة متمكنين من فقه اللغة وفلسفتها وقواعدها ، متعمقين فى فهم روح البلاغة وأسرارها ، مختصين فى أساليب تدريسها. فماذا لا تنتج أبواب هذا المعهد على مصاريعها فى وجه الأقطار العربية ، فيخرج لها نخبة صالحة لتدريس اللغة العربية فى الأقسام الثانوية ؟ وقد أسلم جدلا بأن منهاج دار العلوم مثقل بالمواد القديمة الصعبة المرهقة والجافة أحياناً ؛ ولكن فهمنا للغة فهماً صحيحاً يخولنا تدريسها بكفاءة ، لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة عميقة لهذه العلوم على النحو المتبع فى دار العلوم .

« وتستطيع كلية اللغة العربية فى الجامعة الأزهرية أن تقبل الراغبين فى التخصص باللغة العربية إلى جانب العلوم الدينية . وهذه قد لا تشترك فيها جميع الأقطار العربية »

وبمثل هذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف سار فى بقية فصول الكتاب ، فلم يقصر كذلك فى نقد مواضع النقص حيثما وجدت . وحينما ساقه الحديث مثلا عن « مكتبة الأطفال » كشف عن نقصها وفقرها فى جميع بلاد الجامعة العربية ومصر من جملتها وكان محقاً كما كان منصفاً .

* * *

هذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق يجعلنا نوجه الحديث بصراحة إلى الأستاذ المؤلف ، وإلى جميع الراغبين رغبة نفسية أكيدة فى توثيق عرا التعاون بين أمم الشرق العربى .

إن لمصر ما تشكو منه من بعض شقيقاتها العربيات ، أو ما تعتب عليه بتعبير أصح ... ويجب أن نكون صرحاء فيما بيننا ليقوم البناء على أساس سليم ... ومصر لا تشك فى إخلاص الشقيقات لها وتطلعهم إليها واهتمامهم بها . ولكن هنالك مع هذا أشياء !

فأنا أعتقد أن الأستاذ المؤلف يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أن تلبى حاجة الشقيقات إلى المعلمين ... وإنما هو واجب عليها تؤديه . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات ينظر إلى المسألة نظرة أخرى ، فيرى فى هؤلاء الأساتذة مرتزقة ، أو بلغتهم « عَيَّاشة » يزاحمونهم الرزق ويطلبون العيش ؟ إن كثيراً من هؤلاء الأساتذة يعودون شاكين لا لما يعانونه من معالجة شئون الحياة بعيداً عن أهلهم وصوالحهم ، ولكن لأنهم ينبزون بلقب « العيَّاشة » ! مع أنهم منتزعون من ضرورات المدارس المصرية

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها كانت سابقة فى الأدب والثقافة . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات يعدون هذا استعماراً ثقافياً ، ويحملون فى بعض الصحف على الأدباء المصريين وعلى الثقافة المصرية ، حتى يصدر أحد رؤساء الحكومات أمراً بالكف عن هذه الملاحاة ؟

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها فتحت أبواب معاهدها للطلاب من كل الشقيقات . فما بال بعض هؤلاء الطلاب الذين تقوم لهم مصر بواجبها فى الضيافة الكاملة والثقافة والرعاية يحلو لهم أن يملئوا أفواههم بنقد المصريين حتى ليصل هذا النقد إلى درجة التجريح فى وجه المصريين ؟ !

هذه كلمات لا تنقصها الصراحة ، وهى كلمات واجبة ، وهى عتب الشقيق على الشقيق ، مبعثه الود الصريح ، والإخاء العميق والإخلاص الوثيق .

سيد قطب

التطور الاجتماعى بعد الحرب

للأستاذ عبد القادر المغربى

إن اهتمام المفكرين فى نتائج هذه الحرب وما تتركه وراءها من أثر فى شؤون البشر قد تجاوز كل حد، وأصبح لا يقل عن اهتمامهم بأخبار وقائعها وأهوال ملاحمها ولهم الحق فى ذلك: لأن الحرب مهما طالت ظل متقلص وسحاب متقشع، أما نتائجها وما تتركه وراءها فهو على ما يظهر حكم مبرم باق إلى ما شاء الله.

وقد انتشر من جراء ذلك الذعر فى قلوب قادة الأمم وكبار زعمائها، وأوجس كل منهم خيفة على مستقبل بلده وأوضاع وطنه.

وليس الشأن فى هذا، وإنما الشأن فى التطورات الاجتماعية التى سوف تقلب عادات الأمم وأخلاقها وقوانين حياتها رأساً على عقب، حتى زعموا أن التطور الاجتماعى سيشمل كل ما تقع عليه العين من مادة أو تحس به النفس من معنى — فالعالم بعد الحرب عالم آخر ينبغى أن يسمى منذ الآن (عالم ما بعد الحرب) — وحتى خشى الحريصون على أديانهم وتقاليدهم وآخرون على قومياتهم ولغاتهم، أن يعمل ناموس التطور عمله فى تلك الأديان وهذه اللغات فيأخذ بهما ذات اليمين أو ذات الشمال.

نعم إن العقلية السياسية الديمقراطية التى تسيطر على البشر بعد هذه الحرب ستضمن للبشر سلماً دائماً يغمرهم، وأنظمة دولية ثابتة تصون استقلالهم وتحمى حدودهم وتنتزع العدوان الديكتاتورى من بينهم.

أجل قد يكون هذا كله، ولكن السلم الدائم المضمون شىء والتطور الاجتماعى المترقب شىء آخر.

التطور الاجتماعى لا تقف فى وجهه حدود ولا تصده حرس ولا أغلاق، هل سمعتم بالمظليات الجوية قط؟ وهكذا هبوط التطورات الاجتماعية.

العقلية السياسية المسيطرة تقدر على وقاية الإنسانية من كل شىء إلا شيئاً واحداً: هو سلطان التطور الاجتماعى وما يحمله على كفه من المبادئ الاشتراكية والنزعات المتطرفة.

التطور الاجتماعى ناموس طبيعى قوى الشكيمة ماضى العزيمة، ولم يكفه هذا حتى تقوم (الحريات الأربع) تحميه من ورائه وتنهض الدعاية بسحر دسائسها تمهد له من أمامه.

ونحن معشر المسلمين والعرب خاصة لا يمنعنا مانع أن تؤمن بكل ما يتكهن به المتكهنون عن نتائج هذه الحرب وتطور شؤون البشر بعدها، إذ أن التطور من قدّر الله سبحانه له فيه حكمة ومصلحة لعباده، كما أن السلم الدائم من صنع أقطاب السياسة المسيطرة: لهم ولنا وللأمم كافة فيه الأمن والصلاح والإسعاد.

ولكن هل نام معشر المسلمين والعرب على هذه الفكرة الراقة، ونتعلل بها مطمئنين مستسلمين؟

إذا لم يمكنا درء التطور غير الملائم لنا، أفلا يمكننا تلطيفه وتحويل مجراه إلى ما فيه صلاحنا وسلامة إسلاميتنا ولغتنا؟

فكر ملوكنا وكبار زعمائنا بأمر الوحدة العربية، وتسييجنا بها، فنعمّا فعلوا، وإن فعلهم هذا من نوع تلطيف القضاء وتخفيف وقعه وتوجيهه إلى توفير مصلحة العرب السياسية والقومية

أفلا يفكر غيرهم من العاملين المسئولين فيلطفوا التطور المتوقع حصوله فى الدين واللغة، ويوجهوا إبرة بوصلته إلى ما فيه حفظ لدينهم وسلامة للغتهم؟

والتطور الفكرى فى الدين وإصلاحه أمر خطر وخطير فى آن واحد، ولا يمكن التعرض له فى موقفنا هذا بأكثر من قولنا: إن فى المتطرفين من المثقفين المسلمين من يرى ضرورة تقضى بفصل الدين عن الدنيا، وآخرون منهم لا يرون هذا الرأى وإنما هم حريصون على العمل بالاجتهاد فى الدين كما كان يجتهد الأولون من السلف عند ما تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، ويزعمون أن هذه الشروط اليوم ممكنة الوجود فى مجموعة من الأفراد، لا فى الفرد الواحد. وهذا الفريق لا يبعد عن روح الدين الإسلامى كما بعد الفريق الأول وإن كان معظم رجال الدين اليوم لا يرون فتح باب الاجتهاد.

وهناك فريق ثالث يرى التعجيل بعملية «التصفية» وخلاصة ما يقال فى وصف هذه العملية أن ينحّى إلى جانب من مسائل الدين وأحكامه ودراساته ما لا يمكن تطبيق نصوصه ولا العمل به فى عصرنا الحاضر، فهو مُرجأ إلى أن يأذن الله بعودته، مثل معظم أحكام الجهاد والرق والعتق وإقامة الحدود إلى غير ذلك مما أصبح عبئاً على عاتق الثقافة الإسلامية التى تضطرها الظروف القاهرة إلى التخفف منه كى تنشط وتتمكن من لحاق من سبقها

فى ميادين الحضارة والعزة والغلبة .

هذه خلاصة مايحدث ، أو ربما يحدث من توثب الفكر الدينى — خيره وشره — بعد الحرب .

وما ذكرته أصول لها ذيول لا يمكن استيفاؤها إلا فى مصنفات أو محاضرات تلقى فى غير هذه الحفلة . أما حفلتنا هذه فيكفيها ما اجترأت به عليها مذ شغلتها بغير ما أعدت له : أعدت هذه الحفلة (بعد البيانات الرسمية) لبحوث اللغة وطرق وقايتها مما يُهَدِّد سلامتها .

ومهما ذكرت لكم من مهددات سلامة اللغة لا آتى بشيء تجهلونه بل سأعمد إلى عكس ذلك : فأذكر لكم أيها السادة من أسباب سلامة اللغة وضمانة أبديّتها شيئاً جديداً ، شيئاً فيه طرافة وفيه استجمام ، وفيه استشفاف لما يأتى به الغد القريب من صنع الله العجيب .

يعود نشاط الآراء وتوثب الحرية فى المسائل الإجتماعية بعد الحرب إلى أشد مما كانت عليه قبلها . ويعود الداعى فيدعو إلى الشيء النُّكْر : إلى استبدال اللغة العامية باللغة الفصحى ، ولا أطيل القول فى هذه المسألة لأنكم أيها السادة المصريون خاصة أعرف بها وبمبتدإ خبرها من كل أحد . فالدعوة إلى اللغة العامية أشأم مايهدد لغتنا العربية ، وهناك مسألة أخرى وهى استبدال الحروف اللاتينية بحروف كتابتنا العربية .. وهذه الدعوة أيضاً قد علمتم من أمرها أكثر مما علمتم من أمر الدعوة الأولى ، إذ لم تهدأ بعد هاهم الداعين إليها ، وشقاشق الرادّين عليها ، وهى فلتة قام على أنقاضها نهضة مباركة تدعو إلى تيسير الكتابة العربية وتسهيل الإفادة بها والاستفادة منها ، وذلك من طريق إضافة حركات أونترات موصولة بأطراف الحروف العربية أو أوساطها ، فتصبح الكتابة العربية (ونسميها الكتابة الميسّرة) سهلةً فى القراءة ، قريبة التناول فى الطباعة ، خفيفة الظل على المعلمين والمتعلمين ، ولا شؤم فى هذا المشروع ولا ضير ، بل إن فيه الخير كل الخير .

ومثله مشروع إصلاح قواعد اللغة العربية والاقتصار من مسائلها على ما تمس إليه الحاجة وتتوقف عليه صناعة البيان وملكة الإفصاح ... وهذان المشروعان (تيسير الكتابة ، وإصلاح قواعد اللغة) أهم ما يُعنى به مجمعنا فى دورته التى نحن واقفون على عتبتها ، غير أن بعض المتشائمين يعترضنا ويقول : إن ما عرض حتى الآن من نماذج الكتابة الميسرة لا يخرجها عن كونها كتابة مستقلة ذات طابع خاص وشكل خاص ، لا يحسنه إلا من اعتاده وتمرن عليه ، فإذا حذقت الأجيال الآتية من أبنائنا هذه الكتابةَ وأهملوا الكتابة بالحروف العربية القديمة نسوا هذه الأخيرة بالطبع وجهلوا قراءتها . فتنقطع صلتهم بثقافة ماضيهم والاستمتاع بآثار أسلافهم . ومثاله القريب حروف الكتابة المغربية الافريقية اليوم فانها عربية فى أصلها ، لكن طرأ عليها من الأشكال والأوضاع والنَّترات والتقوّسات ما حولها عن شكل الخط العربى المشرقى إلى خط خلاسى حتى أصبحنا نحن المشارقة عاجزين عن قراءة خطوط المغاربة ، وبذلك انقطعت صلتنا بثقافتهم وآثار علمائهم وهم إخواننا وأهلونا .

(وإنا نرى أقدامنا فى نعالهم وآنُفنا بين اللِّحى والحواجب)

وكم مرة حملنا كتابات هؤلاء الأخوان ومصنفاتهم المخطوطة أو المطبوعة بحروفهم إلى من يقرؤها لنا منهم ، وقد لا نجده ، غير أن هذا كان قبل أن ينهض إخواننا فضلاء المغرب إلى تدارك هذه القطيعة بيننا وبينهم ، أما اليوم فقد أخذوا يطبعون وينشرون آثارهم القلمية بحروفنا المشرقية ، وبذلك عدنا إلى الوصل واجتماع الشمل ، وإلى الانتفاع بآثار عملهم والارتواء من معين فضلهم .

هذا بعض ما يقال فى لز الكتابة الميسرة المتوقع اختيارها ، فإذا كان ما يقوله هؤلاء العائبون لها حقاً ، وكان ما قاله أولئك فى لز الحروف اللاتينية حقاً أيضا ، وقعنا فى حيرة من أمرنا ، وأركسنا فى اليأس من تيسير كتابتنا ، وتسهيل تناول العلم على أحداثنا

هنا أسمع بعض الملهمين يقول مستبشراً : إنه لا ينجينا من هذه إلا إذا أصغينا إلى هاتف الأمل ، يهتف بنا من وراء حجب المستقبل ؛ فهو ينصح لنا — أولا — بالبقاء على الثقة بكتابتنا العربية الجميلة التى ورثناها عن ابن مقلة . ويبشرنا — ثانياً — قائلا : إنكم علمتم مبلغ التطور المتوقع حدوثه بعد هذه الحرب ، وسيكون هذا التطور على أشده فى الصناعات ومختلف آلاتها وأدواتها ، ومن الصناعات التى سترتقى وتتطور إلى أقصى حد من الترقى والتحسن صناعةُ طبع الكتابة ، أى تصويرها بالفوتوغراف بآلة خاصة ، وطريقة خاصة ، وقد ارتقت هذه الآلة ، وطريقة التصوير بها فى سنين قليلة إلى حد أن مجلة « المستمع العربى » التى تطبع فى لندن باللغة العربية أصدرت منذ نحو شهرين

عدداً قدمته إلى القراء بقولها : « قمنا فى هذا العدد بتجربة جديدة، ذلك أننا قررنا جريا على خطتنا فى تحسين مجلتنا أن نستخدم طريقة الفوتوغرافير (Photogravure) وهى ليست من أحدث طرق الطباعة فحسب ، بل هى من المستلزمات الضرورية لطبع الصحف الكبيرة المصورة ، وقد اتبعت أمهات الصحف العالمية المصورة هذه الطريقة اهـ .

وطريقة الفوتوغرافير الطفلة سوف لا تبقى على طفولتها ولا على حالتها التى طبعت بها مجلة المستمع، بل ستترقى وتتطور كما ترقت وتطورت مطبعة (يوحنا غوتمبرج) التى تدار باليد إلى المطبعة الحديثة التى تطبع مطبوعاتنا بتذويب الرصاص (لينوتيب) (Linotype) بل إن الطيارة التى قطعت المانش منذ خمس وثلاثين سنة لا نسبة بينها وبين طيارات هذه الحرب ، ولا يعلم إلا الله ما ذا يكون من مصير تطورها بعد خمس وثلاثين سنة أخرى .

وعلى هذه النسبة سترتقى الكتابة العربية المصورة بطريقة (الفوتوغرافير) ارتقاء مدهشا نستخدمه معشر العرب فى حفظ مكتبتنا والميراث الثقافى الذى تلقيناه من أسلافنا ، وفى نشر العلم واللغة الصحيحة بين أبنائنا ، وعندها نبقى على اتصالنا بماضينا والانتفاع بعلوم أسلافنا .

سيكتب الكاتب منا بعد خمس وثلاثين سنة — أو أقل — ما يريد كتابته من مقال أو خطاب أورسالة أو مصنف ، ويضطر الكاتب — بسبب أوامر الحكومة التى تجعل طبع الكتابة العربية إجباريا — يضطر أن يجوّد حروف ما يكتب ، ويتحرّى وضع النقط على الحروف وضبطها بالشكل الشامل لها ، أو ما يلزم تشكيله منها ، ثم يسلم أصول ما كتب إلى مدير مصنع الفوتوغرافير فيطبع منه أو تقول يصوّر عنه ألوفا وألوفا من النسخ فى ساعة من الزمن ، فتجىء كلها طبق النسخة الأصلية المخطوطة بخط الكاتب أو المؤلف ، وتُنشر هذه الملايين من النسخ المحلاة بعلامات الإعراب بين أيدى القراء ، فإذا مرّ على الجيل الآتى من أبنائنا نصف قرن ، وهم لا يقرأون من الخطوط إلا ما كان مطبوعا بطريقة الفوتوغرافير لا يعود أحد منهم يقرأ الكلام إلا معربا ، ولا يلفظه إلا معربا ، ولا يستظهره إلامعربا ، بل لايفهمه الامعربا ويصبح إعراب الكلام سليقة لأبنائنا ، وملكة راسخة فى نفوسهم ، وهذا كالشأن فى أولاد عرب الجاهلية ، قبل فساد اللغة بمخالطة الأعاجم ، وإذ ذاك يصح للفتى العربى منا أن يتمثل بقول أبى الأسود :

ولستُ بنحوىٍّ يلوك لسانه ولكن سليقىٌّ أقول فأعرب

وإذا اتفق وأصدر مصنع الفوتوغرافير كتابة عربية ، لا هى بالمجوّدة ، ولا بالمحررة ولا بالمعربة ، بحيث لايفهمها قارئوها ، رفع الأمر إلى وزارة المعارف ، فتصادر النسخ ذات الخطأ ، وتحاكم مدير المصنع ، وبهذه الصورة تقع المحافظة على سلامة اللغة العربية التى هى متناثا ، ومن أهم أغراض مجمعنا ، وسيكون من أثر انتشار هذه الطريقة (طريقة الفوتوغرافير) أن تهمل مطبعة (غوتمبرج) وتكسد صناعتها وصناعة ما يشبهها من آلات الطباعة ، كما تبطل صناعة النحو إلا قليلا .

أما صناعة الخط بالقلم (ن . والقلم وما يسطرون) . (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فتنتعش وتنتشر ، ويعود سلطانها إلى سابق عهده ، وسامى مكانته .

وإذا نسخ الكاتب العربى فى المستقبل كتباً لطبعها وتصويرها سوف يكتبها معربة بسليقته وملكته السليمة لا بعلمه قواعد قاسى عَرَق القربة فى تعلمها ، إلى غير ذلك من النتائج التى تُحدثها صناعة (الفوتوغرافير) فى ثقافتنا ، وسهولة نشر العلم بين أحداثنا ، ومايدرينا أن تقوم مجامعنا فتضع لصناعة الفوتوغرافير أسماء كالفغرفة مثلا كما قالوا الفلسفة والفذلكة .

وإذ ذاك لا نعود نهدد بمشروع اللغة العامية ولا نروّع بمشروع الحروف اللاتينية ، بل ستهدأ فورة هؤلاء وتتحول إلى رضى واطمئنان وابتسام ، ويضطر مجمع فؤاد الأول أن يعدل قوانينه وأنظمته تعديلا كبيراً أو صغيراً حسب الحاجة، ويستبدل ببعض أغراضه أغراضاً أخرى اقتضاها التطور ، وترتفع الأصوات بشكر الله وحمده على أن وفق البشر إلى هذا الاختراع العجيب ، فأنقذنا من الحيرة ، ونجانا من المحنة .

عبد القادر المغربي

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

في حديقة النباتات بباريس، وأمام متحفها، يجلس تمثال بوفون Buffon، باديا على محيّاه وقار العلماء، وهدوء الباحثين، وسكينة النفس، واطمئنان الضمير، ولقد أحسن الفرنسيون في اختيار هذا المكان لتمثاله، فقد وقف الشطر الأكبر من حياته على دراسة ما في الطبيعة من حيوان ونبات.

ولد بوفون في السابع من سبتمبر سنة ١٧٠٧ في مونتبار القريبة من بيجون، وقضى تعليمه العالي بكلية بيجون، ولم يكن متميزا فيها إلا بميله إلى الرياضيات. وظل بيفون إلى الثانية والثلاثين من عمره غير مهتد إلى السبيل التي هيأته الطبيعة لها، ولم يقم بما يدل على أنه سيكون في قابل حياته العالم العبقري والكاتب الممتاز، وفي تلك المرحلة قام برحلة مع أحد الأمراء إلى إيطاليا ولندن، وألقى بحثاً في المجمع العلمي نال به لقب العضو المساعد، وترجم عن الإنجليزية بعض الكتب العلمية. وإذا كانت المصادفة تقود خطى بعض الناس، وتكشف لهم عما يكمن في أنفسهم من المواهب؛ فإن الصدفة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة بيفون، وحددت له الطريق الذي يجب أن يوجه اليه جهده، فقد عين مديراً لحدائق الملك، وكلفه الوزير أن يضع وصفاً منهجيا لما بالمقصورة الملكية من مجموعات النباتات، ومنذ ذلك الحين وجد بيفون طريقه، وخصص نفسه لدراسة التاريخ الطبيعي.

كان حينئذ في الثانية والثلاثين من عمره، وقضى المدة الباقية له في الحياة، وقدرها تسعة وأربعون عاما، بين باريس التي كان يفر منها كلما استطاع ذلك وبين بلدته مونتبار؛ وهناك كان ينهض من نومه الساعة الخامسة، ويحبس نفسه بمكتبه إلى التاسعة، ويفطر في نصف ساعة يعود بعدها إلى العمل حتى الساعة الثانية إذ يتغدى. وهكذا كان يقضي كل يوم إلى نهاية حياته سنة ١٧٨٨ قدر بيفون أن يخرج كتابه: التاريخ الطبيعي العام والخاص في خمسة عشر مجلدا، ولكنه لم يمت إلا بعد أن صار ستة وثلاثين مجلداً، ولقد أحرز ما ظهر من هذا الكتاب في حياته شهرة واسعة، وأقبل عليه القارئون في شوق وحب.

كان بيفون ذا نفس سامية متزنة، مستقلة، هادئة، وكان بعيدا كل البعد عما يدور في عصره من المجادلات والاضطرابات وعاش للدرس والبحث والتأمل، واجدا في ذلك كل سعادته.

ولكي يجعل التاريخ الطبيعي — وهو مادة جافة — مقبولا لدى الذوق احتاج أن يكون في ذكاء كاتب من الدرجة الأولى.

وفي سنة ١٧٥٣ دعاه المجمع الفرنسي إليه من غير أن يتقدم بيفون بطلب إلى المجمع، واستقبل فيه يوم ٢٥ من أغسطس، وألقى حديثاً عرض فيه بعض خواطره عن الأسلوب، وقد آثرت نقل هذا الحديث إلى اللغة العربية بجملته حتى لا يتوهه التلخيص؟ قال بيفون:

سادتي:

لقد غمرتموني بالشرف حين دعوتموني إليكم، ولكن التشريف لا يكون مزية إلا اذا كان المرء به جديرا؛ وأنا لا أستطيع أن أقنع نفسي أن بضع مقالات كتبت خالية من الفن وغيره من الزخارف سوى زخرف الطبيعة تكون حججاً كافية للجرأة على أخذ مكان بين سادة الفن، والرجال الأمجاد الذين يمثلون هنا عظمة فرنسا الأدبية، والذين سارت أسماؤهم في مختلف الأمم، وسيظل ذكرهم حياً رفيعاً على ألسنة آخر أحفادنا. وإن لكم أيها السادة لبواعث أخرى في اختياركم إياي، ذلك أنكم أردتم أن تقدموا للمجمع العلمي المجيد الذي كان لي الشرف باتصالي به منذ زمن بعيد[1] — علامة جديدة من تقديركم، وإن اعترافي بجميلكم — مهما يكن مقسما — لن يكون لتقسمه أقل قوة.

والآن، كيف أؤدي الواجب المفروض علىّ؟ ليس لدىّ أيها السادة، ما أقدمه إليكم سوى ما لكم أنتم من فضل. فهو بعض أفكار عن الأسلوب استقيتها من كتبكم، فبقراءتي لكم وبإعجابي

(١) كان بيفون عضواً في المجمع العلمي منذ سنة ١٧٣٣

بكم أدركتها ؛ وبعرضها تحت أضواء أفكاركم تتضح فى جلاء .

فى كل الأزمنة وجد رجال عرفوا كيف يسيطرون على غيرهم بقوة الكلام ، ومع ذلك لا تعرف الكتابة الجيدة وفصاحة القول إلا فى العصور المستنيرة ، وإن الفصاحة الحقيقية تتطلب مران العبقرية والموهبة النفسية ، وهى فى الحق تختلف عن السهولة الخلقية فى الكلام التى ليست إلا نوعاً من الفطنة ، موهوبا لكل هؤلاء الذين عواطفهم قوية وألسنتهم مطواعة وخيالهم سريع . هؤلاء الناس يشعرون شعوراً قويا ، ويتأثرون بقوة أيضاً ، ويبرزون شعورهم فى الخارج مدموغاً بالقوة ؛ وبتأثير آلى محض ينقلون إلى الآخرين حماستهم وانفعالاتهم . إن الجسم هو الذى يتحدث إلى الجسم، فهكل الحركات والإشارات تتعاون وتخدم أيضا

ماذا يجب لإثارة الجماهير وقيادتها ؟ وماذا ينبغى لتحريك القسم الأعظم من الرجال وإقناعهم ؟ نغمة حادة مؤثرة ، وإشارات معبرة كثيرة ، وكلمات سريعة رنانة . ولكن العدد القليل من أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق الدقيقة ، والمشاعر السامية ، الذين هم على شاكلتكم — أيها السادة — ممن يستقلون النغمة والإشارات ، والرنة الفارغة للكلمات ، تجب له أشياء أخرى وأن تقدم إليه أفكار وحجج ، ينبغى لمن يقدمها أن يعرف كيف يبرزها وكيف يلونها وينسقها ، ولا يكفيه أبداً أن يقرع الأذن أو يشغل العين ، بل يجب أن يحرك الروح ، ويلمس القلب ، متحدثاً إلى اللب (١) .

ليس الأسلوب إلا النظام والحركة التى يضعها المرء فى أفكاره (٢) ، فإذا ربطت هذه الأفكار بدقة ، وضمت ، صار الأسلوب متيناً قوياً موجزا ، أما إذا تركت تتتابع فى بطء ولا تأتلف ، إلا بفضل رباط الكلمات ، مها كانت أنيقة فإن الأسلوب يكون مسهبا رخواً مملاً .

ولكن قبل أن نبحث عن النظام الذى تصب فيه الأفكار يجب أن يكون ثمت خطة أشمل وأثبت ، من الواجب ألا يدخل فيها سوى العناصر الأولى ، والأفكار الأساسية(١) ، وإنه بتعيين مكان العناصر والأفكار من هذه الخطة البدائية ، يكون الموضوع محدداً معروف المدى ، وبالتذكر الدائم لهذه الخطوط تحدد المسافات الصحيحة للأفكار الأساسية ، وتخلق الخواطر الإضافية الثانوية التى تفيد فى إكمالها بقوة العبقرية ، تستحضر كل الأفكار العامة والخاصة فى ثوبها الحقيق ، وبالدقة العظيمة فى الفرز تتميز الأفكار المجدبة من الخصبة ، وبالبصيرة النافذة الناشئة التى يأتى بها كثرة اعتياد الكتابة يشعر الكاتب سلفاً بما سوف تفضى إليه كل عملياته العقلية . وعند ما يكون الموضوع واسعاً أو معقداً يكون من البين أنه من النادر أن يستطاع شموله بنظرة واحدة ، أو اختراقه بأول مجهود للموهبة . ومن النادر كذلك أنه حتى بعد تأملات عدة أيضاً تدرك كل تفصيلاته فلا يستطاع إذاً أن يشغل الكاتب نفسه بذلك كثيراً ، ومع هذا ، تلك هى الطريقة الوحيدة لتوطيد أفكار الكاتب ، وتفصيلها والسمو بها : فكلما منحها ما يقومها ويقويها بالتفكير يكون من السهل عليه بعدئذ أن يوضحها بالتعبير .

ليست هذه الخطة مع ذلك بالأسلوب ، ولكنها قاعدته . هى التى تصونه وتقوده وتنظم حركته ، وتخضعه للقوانين ، وبدونها يضل خير الكاتبين ، ويسير قلمه بدون قائد ، ويأتى مصادفة بصفات شاذة ، ومجازات متنافرة ؛ ومهما تكن الألوان التى يستخدمها لامعة ، والمحسنات منثورة فى الجزئيات ، فإن العمل فى جملته يصدم الإحساس ولا يتضح ، ولن يكون التأليف أبداً محكم البناء . ومع إعجابنا بعقل المؤلف يستطاع الارتياب فى أن الموهبة تنقصه(٢) . ولهذا السبب كان هؤلاء الذين يكتبون كما يتكلمون — مهما كان حديثهم عظيم الجودة — ذوى كتابة

(١) لايقبل بيفون الافصاحة التفكير ، والتفكير عنده أساس التأثير

(٢) هذه هى الفكرة السائدة فى المقال ، وهى أول تحديد للاسلوب ولها قيمة خاصة ، إذ أنها لا تفرق بين المعنى والصورة ، وتعود بفن الكتابة إلى فن التفكير الدقيق المنظم .

(١) هذه هى الخطة التى اتبعها بيفون ، فإنه قبل أن ينشر المجلدات الثلاثة الأولى لكتابه التاريخ الطبيعى ، كانت خطة كتابه كاملا قد نشرت فى مجلة العلماء Journal des Savants .

(٢) قال فنلون Fénelon : إن المقال لا يكون له نظام حق إلا إذا كان من غير المستطاع أن نضع جزءا مكان آخر بدون أن نضعف المجموع أو نبهمه أو نخل به ، وكل مؤلف لا يضع هذا النظام لمقاله لا يعلك موضوعه حقاً ، وليس له إلا ذوق غير كامل وفطرة ناقصة . ويجب أن يشمل النظر كل شىء ويخترق كل شىء ليعرف المكان الدقيق لكل كلمة .

رديئة ؛ وهؤلاء الذين يتبعون أول شرارة يقدحها خيالهم يأخذون سمة من لا يستطيعون ضبط أنفسهم ؛ وهؤلاء الذين يخافون أن يفقدوا أفكارهم المفرّقة الشاردة ، ويكتبون فى أوقات مختلفة قطعاً متفرقة لا يستطيعون أبداً أن يجمعوها بدون تغيير اضطرارى ، وفى كلمة واحدة : نجد كثيراً من المؤلفات قد كون من قطع شتى وقليل منها ما له هدف واحد .

ومع ذلك كل موضوع وحدة[1] ، ومهما يكن البحث واسعاً فمن الممكن وضعه فى مقال واحد ، والانقطاعات والاستراحات والتقسيمات لا يصح أن تستخدم إلا عند ما تعالج موضوعات مختلفة ، أو عند التحدث فى أشياء جليلة شائكة متباينة ، فيجد تيارُ التفكير نفسه معترضاً بشتى العقبات ، ومكرها بضرورة الظروف ؛ وفضلا عن ذلك ترى كثرة الأقسام ، مع بعدها عن أن تجعل الموضوع شديد الإلتحام تهدم وحدته . وإن الكتاب بها يبدو أمام العينين واضحاً ، ولكن هدف المؤلف يظل غامضاً ، ولا يمكن أن يؤثر فى نفس القارئ ؛ وإن الغرض لا يدرك إلا باتصال الأفكار ، وارتباطها ارتباطاً ملتئماً ، وبالشرح المتتابع ، والتدرج الآخذ بعضه بحجز بعض ، وبالحركة المتسقة التى يهدمها كل انقطاع أو يضعفها .

ولماذا كانت أعمال الطبيعة تامة الكمال ؟ ذلك أن كل عمل وحدة تامة ، وأنها تعمل تابعة لخطة خالدة لا تفارقها أبداً . إنها تهيئ فى صمت بذور ما تنتجه ، وترسم بنظام واحد الشكل الأول لكل المخلوقات الحية ، وتنميه ، وتكمله بحركة دائمة وفى وقت معين . العمل عجيب ، ولكنه الطابع الإلهى فيه سماته التى يجب أن تؤثر فينا . وإن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، ولا تنتج إلا بعد أن تكون خصبة بالتجربة والتأمل ؛ ومعارفها بذور إنتاجها ، ولكنها إذا قلدت الطبيعة فى سيرها وعملها ، وإذا ارتفعت بالتأمل إلى أسمى الحقائق فوحدتها وربطتها ، وكونت منها بالتفكير كلًّا ومنهاجا فإنها تبنى آثاراً خالدة على أسس لا تتزعزع .

إنه لمن نقص فى الخطة ، ومن عدم التفكير الكافى فى الغرض ، أن رجلا ذكياً يجد الموضوع يملك نفسه ولا يعرف بم يبدأ الكتابة . إنه يدرك مرة واحدة جملة عظيمة من الأفكار ، ولأنه لم يستطع أن يوازن بينها ، ولا أن يلحق فكرة بأخرى ، لا يمكنه أن يجزم بتفضيل بعضها على بعض ، ويظل إذاً يتخبط فى حيرته .

ولكنه منذ أن يضع الخطة ، ومنذ أن يجمع أفكاره الأساسية للموضوع وينظمها ، يدرك فى الحال بسهولة ما يجب أن يتناوله قلمه ، وسيشعر باللحظة التى يتم فيها نضج فكرته ، وسيجد نفسه معجلا إلى الإنتاج ، ولن يجد إلا السرور بالكتابة ، تتتابع الأفكار فى يسر ، ويصير الأسلوب طبيعياً سهلا ، وتتولد الحرارة من هذا السرور ، وتشيع فى كل مكان ، وتعطى الحياة لكل تعبير ، وينتعش كل شىء كلما تقدم الكاتب فى الكتابة ، وترتفع نغمة الأسلوب ، وتأخذ الأشياء ألوانا زاهية ، والشعور منضما إلى الوضوح يفخمها ويقويها ، ويصير الأسلوب بذلك جذاباً مشرقاً .

لا شىء يعارض الحرارة إلا الرغبة فى أن نضع دائماً عبارات أخاذة . ولا شىء ينافى الوضوح والضوء الذى يجب أن يكون له مركز ينتشر منه متناسقاً فى المؤلَّف كله — إلا هذه الومضات التى تغتصب بالقوة من تضاد الكلمات بعضها لبعض ، والتى لاتبهرنا بعض الوقت إلا لتتركنا بعدئذ فى الظلمات . إنها أفكار لا تلمع إلا بتضادها[1] ، ولا تبرز إلا جانباً من جوانب الموضوع بينما يوضع فى الظلام كل الجوانب الأخرى ؛ وفى العادة يكون هذا الجانب الذى يختار حدا أو زاوية يتلهى الذهن بها بسهولة ، بينما يكثر بعدُه عن الجوانب العظيمة التى اعتاد الفكر المستقيم أن يقدر بها الأشياء .

[البقية فى العدد القادم]

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

---

(١) قال فلون ذلك عينه وبالأسلوب نفسه تقريباً ؛ قال : كل مقال وحدة ، وإنه ليعود إلى قضية واحدة وضحت بعبارات مختلفة . هذه الوحدة فى القصد جعلت الكتاب بجملته يرى بنظرة واحدة كما يرى من ميدان فى المدينة جميع الشوارع والأبواب إذا كانت الطرق كلها مستقيمة منتظمة مهندسة . إن المقال هو القضية مشروحة ، وإن القضية هى المقال مجملا .

(١) قال باسكال Pascal هؤلاء الذين يصنعون ألوان الطباق بإكراه الكلمات مثلهم مثل هؤلاء الذين يصنعون نوافذ كاذبة للتناسب .

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

[تتمة ما نشر في العددين السابقين]

استرق إلى نفسي خاطر أن أنطلق بروحي إلى العالم فانطلقت ، لم تحدث حركة في الواقع . وإنما كان يكفي أن يتجه فكري إلى شيء حتى أجده ماثلاً أمامي . بل الواقع أعظم من ذلك ؛ فقد صار بصري شيئاً عجباً ؛ لا يعصى أمره شيء ، صار قوة خارقة تشق الحجب وتتخطى السدود ، وتنفذ إلى الضمائر والأعماق . بيد أني — وقد حم الوداع — نازعني الفكر إلى أهلي . فوجدت نفسي في داري . أما الصغار فقد راحوا في نوم عميق لا يزعجه بكدر . وأما زوجي وأمي فقد افترشتا الأرض ، ولاح في وجهيهما الهم والغم . لشد ما أعياهما الحزن والبكاء ! وغدا يتضاعف حزنهما عند تشييع التابوت إلى مثواه الأبدي . وقد تغلغل روحي في فؤاديهما فتحرك رأساهما وتمثلت لهما في الأحلام ، ورأيت القلبين المحزونين يخفقان في كد وألم . فيم كان كل هذا الكدر ؟ ! بيد أن شيئاً استرعى بصري ! رأيت في سويداء القلبين نقطة بيضاء . فعرفتها — فما عاد يخفى عليّ علم شيء — فهي بذرة النسيان ! آه ... ستكبر هذه النقطة وتنتشر حتى تشمل القلب كله . أجل أدركت هذا حق الإدراك ، ولكن بغير مبالاة فلم أعد أكترث لشيء . وتساءلت مسوقاً بلذة المعرفة متى يمكن أن يحدث هذا ؟ ! فأرتني عيناي العجيبتان صورة من المستقبل : رأيت أمي تمسك غلاماً بيمناها وتشق طريقها وسط زحام شديد ملوحة بزهرة اللوتس . فعلمت أنها خرجت — أو أنها ستخرج — للمشاركة في أسعد أعياد قريتنا ، عيد الإلهة إيزيس . كان وجهها متهللاً وكان ابني يهتف ضاحكاً . ورأيت زوجي تهيئ مائدة — والطعام خير ما تصنع في دنياها — وتدعو إليها رجلاً أعرفه ، فهو ابن خالها ساو . ونعم الزوج هو . ولو أن ميتاً يسر لسررت لها ، لأن ساو رجل فاضل ، وهو خير من يسعد زوجي ويرعى أبنائي . وانصرفت روحي عن داري . فمرت في سبيلها بقصر أميري المحبوب ، فشاهدت عقل الأمير ووجدته متأسفاً لفقدي وهو الذي قدرني أجل التقدير وجازاني خير الجزاء . ووجدته مشغولاً باختيار خلف لي فقرأت في ذاكرته اسم المرشح الجديد « آبرع » وكان من مرؤوسي النابهين وإن لم تتصل بيننا أسباب المودة . كل هذا جميل . ولكن الإلام أبقى في قريتي واليوم يستقبل فرعون رسول الحيثيين لتوقيع معاهدة الصلح والسلام ؟ رأيت منف — في لمح البصر — تعج بجمهورها الحاشد . والقصر في أروع منظر . وقد اجتمع في بهو العرش العظيم الملك والرسول والكهنة والنبلاء والقواد . هؤلاء هم سادة الدنيا قد جمعهم مكان واحد . وهذا فرعون المظفر يحادث رسول الحيثيين الجبابرة في جو بالمودة عامر . أما صدر الملك فقد امتلأ احتقاراً ، وترددت بأعماقه هذه العبارة : « لا بد مما ليس منه بد » وأما صدر الرسول فقد بض كراهية ، وتحيرت به هذه الفكرة : « صبراً حتى يموت هذا الملك القوي » . ونشطت عيناي ، فرأيت الوجوه والملابس والقلوب والعقول والبطون . رأيت عالي الظاهر والباطن بغير حجاب . وتسليت زمناً بتفحص ما في البطون من طعام فاخر وشراب معتق ، حتى عثرت بمعدة كاهن على بصل وثوم ! وهما محرمان على الكهنة . وتساءلت ترى كيف غافل هذا الرجل الورع أقرانه ودس هذا الطعام في جوفه ؟ ! ولمحت في ناحية من معدة أحد النبلاء دبيب المرض الذي أودى بحياتي ، وكان الرجل يحاور قائداً في سرور وانشراح فقلت له في نفسي : « على الرحب والسعة ! » . ثم وقع بصري على الحاكم تيتي الذي اشتهر بالقسوة والبطش حتى ليوالي فرعون النصح له بالاعتدال مع رعايا إقليمه . فنظرت إليه بإمعان . وسرعان ما تكشف لي عن جسم مهزول ، مريض الأعضاء ، لا يفتأ يشكو مر الشكوى أسنانه ومفاصله . وكلما ألح عليه الألم تمنى لو يستطيع بتر الفاسد من جسمه . ولذلك تملكته فكرة البتر بقسوة فلا يتردد عن بتر المعوج من رعاياه بعنف لا يعرف الرحمة . وإلى جنب تيتي شاهدت الوزير مينا ، ذلك الرجل العنيد الذي حارب فكرة الصلح بكل قواه ، وطالما حرض على القتال ، وتساءلت ترى ماسر عناد هذا الوزير الخطير ؟ ! رأيت عقله نيراً ، ولكن أمعاءه ضعيفة فتستبقي فضلات الطعام طويلاً فتلوث دمه في دورته فيذهب إلى عقله فاسداً ، ويغشى نور أفكاره ، حتى إذا خرجت من فه كانت ذات شر كبير ! والرجل مقتنع برأيه يراه واضحاً مستقيماً كما أرى مخه مسوداً ملوثاً ! ثم دار بصري بالصدور يستقرئها خفاياها الكامنة وراء بسمات الثغور . هذا صدر ثقل عليه الملل فهمس لصاحبه : « متى العودة إلى القصر حيث السماع والقيان ؟ ! » وهذا صدر يتوجع قائلاً : « لو مات الرجل بمرضه لكنت الآن قائداً على فرقة الرماح ! » وذاك صدر يقول في جزع متسائلاً : « متى يقوم الأحمق برحلته التفتيشية فأهرع

إلى زوجه الحسناء المحبوبة ... آه ... » وقال صدر لصاحبه من الأعماق : « لا يدرى إنسان متى يحين الأجل . فلا يجوز بعد اليوم أن أؤخر بناء مقبرتى . أو فما فائدة المال إذاً ؟ ! » وتولت الحيرة صدراً كبيراً فجعل يقول لصاحبه : « قال أخناتون إن الرب هو آتون . وقال حار محب إنه آمون . وهناك قوم يعبدون رع . فلماذا يتركنا الرب فى شقاق ؟ » ولم أواصل الاستطلاع طويلاً فى هذا الحفل الفرعونى الجليل إذ سرعان ما أدركنى الملل . فتحولت عنه ووجدت نفسى مرة أخرى فى الدنيا الواسعة . ومرت أمام ناظرى مشاهد كثيرة من الأرض والسماء ، لمست حقائقها جهرة ، ونفذت إلى صميمها ، حتى وقع البصر على جنين يتكون فى رحم ، فرأيته يكتسى لحماً وعظماً . وشهدت مولده . وجرى البصر معه فى المستقبل فرآه طفلاً وصبياً وغلاماً وشاباً وكهلاً وشيخاً وميتاً . وشاهد ما اعتوره من حادثات وحالات سرور وحزن ورضا وغضب وأمل ويأس وصحة ومرض وحب وملل . رأى ذلك جميعه فى دقيقة من الزمان . حتى كاد يختلط فى أذنى بكاء الميلاد وشهقة الموت ! وغلبتنى على أمرى رغبة جامحة فى اللعب فسارت حيوات أفراد كثيرين من الميلاد إلى الممات . واستلذذت كثيراً وقوع الحالات المتنافرة لا يكاد يفصل بينها زمن ! فهذا وجه يضحك ويقطب ثم يضحك ويقطب عشرات المرات فى جزء من الثانية ! وهذه امرأة تتيه حسناً وتعشق وتتزوج وتحبل وتلد وتهرم وتقبح وتسمج فى لحظة من الزمان ! ووفاء وخيانة لا يفصل بينهما زمن . هذا وغيره مما لا يحيط به حصر جعل الحياة مهزلة . فلو أن ميتاً يضحك لأغرقت فى الضحك . وبدا لى كأنه لا حقيقة فى العالم إلا التغير ! ورغبت نفسى عن مطالعة الأفراد وحيواتهم المجنونة فغابوا عن بصرى . ورنوت إليهم من بعيد جمعاً غفيراً لا يحده شىء . تضاءلت الحجوم وطمست المعالم وانعدمت الفوارق . فصاروا كتلة واحدة . ساكنة صامتة . لا حياة فيها ولا حركة . رحت ألقى البصر فى دهشة وحيرة . حتى ألفت المنظر . فتكشف لى عن جانب جديد كان من قبل خافياً . رأيت ذلك الظلام الساكن يشع نوراً شاملاً ؛ فإن الأنوار الخافتة المتهافتة التى تخفق فى كل مخ — على حدة — ضعيفة خابية ، اتصلت فى المجموع الملتحم المتماسك ولاحت نوراً قوياً باهراً . رأيت فى لمحها حقاً باهراً وخيراً صافياً وجمالاً متألقاً فازددت دهشة وحيرة . رباه لشد ما تعانى الروح وتتعذب ولكنها تبدع وتخلق على رغم كل شىء . رباه لقد رأى توتى أموراً جليلة وليرين أموراً أجل وأخطر . وأيقنت أن ذلك النور الذى بهرنى إن هو إلا نقطة من السماء التى سأعرج إليها . وغضضت البصر . ووليت الدنيا ظهرى . فوجدت نفسى فى حجرة التحنيط المقدسة . وقد ملأ روحى سرور إلهى لا يوصف ...

***

وانتهت أيام التحنيط السبعون . فجاء الرجال مرة أخرى ، واستخرجوا الجثة من الحوض وأدرجوها فى الأكفان ، وأتوا بالتابوت وقد زانوا غطاءه بصورة جميلة لتوتى الشاب ووضعوا فيه الجثة ، ثم رفعوه على أعناقهم وساروا به إلى الخارج ، فتلقاه المشيعون من الأهل والجيران بالعويل واللطم ، وعاد النواح كأفظع مما كان يوم النعى ، وذهبوا إلى شاطئ النيل ، وهبطوا إلى سفينة كبيرة أقلعت بهم صوب مدينة الأبدية على الشاطئ الغربى ، والتفوا بالتابوت يصوتون وينوحون . قالت أمى : « لا جفّ لى دمع ، ولا اطمأن لى قلب من بعدك ياتوتى ! » . وصاحت زوجى : « لماذا قضى علىّ بأن أعيش بعدك يا زوجى ! »

وقال حاجب الأمير : « توتى أيها الكاتب المجيد . لقد تركت مكانك شاغراً ! »

ولبثت أنظر بهاتين العينين اللتين تنكرتا لمالكيهما ، وكأن سبباً لم يصلنى يوماً بهذه الدنيا ، ولا بهؤلاء الناس . ورست السفينة إلى الشاطئ ، فرفعوا التابوت مرة أخرى ، ومضوا به إلى المقبرة التى أنفقت فى تشييدها جل ثروتى ، وأحلوه موضعه من الحجرة . وفى أثناء ذلك كان جماعة من الكهنة يتلون بعض الآيات من كتاب الموتى ، يلقنوننى التعاليم الهادية من أقوم سبيل ! ثم جعلوا ينسحبون تباعاً حتى خلا القبر ، ولم يعد يسمع من شىء إلا العويل الآتى من بعيد ، وأغلقت الأبواب وهيلت عليها الرمال ، فانقطعت كل صلة بين العالم الذى ودعت ، والدنيا التى أستقبل ...

***

ملاحظة : هنا انقطعت الكتابة فى المخطوط الهيرغليفى ، ولعل فترة الانتظار التى أشار إليها الكاتب فى أول كتابته كانت قد انتهت . ولعل رحلته الأبدية كانت قد بدأت ، فشغل بها عن قلبه المحبوب ، وعن كل شىء

نجيب محفوظ



متحمس . . . !

يتحمس فى كل شىء : فى رأيه ، فى إشارته ، فى نطقه ، فى عبارته ، فى جلسته ، فى حركته ، فيما يختار من ألوان ملبسه ، فى ضحكته ؛ ولا بد أنه قياساً على كل هذا متحمس كذلك فى بكائه . وكم تمنيت — على شدة كراهيتى للبكاء — لو رأيته يبكى لأرى مبلغ حماسته فى دمعته !

قارب الثلاثين أو جاوزها قليلاً . حديث العهد بشهادة من شهادات إحدى جامعتينا فهو بها معتز مغتبط متحمس فى اعتزازه واغتباطه . ولست أجد فى ذلك مايلام عليه فهذا ما يفعله كثيرون غيره ممن يظفرون بشهادات جامعية يستطيعون بعدها أن يعملوا ليظفروا بالألقاب العلمية الضخمة ، ومن منهم لا يحب أن يصبح دكتوراً مرموق المكانة عظيم الخطر ؟

وصاحبنا الذى اختلس منظارى النظر إليه ساعة ، وحلقت فيه عيناى أكثر من مرة من شدة إعجابى به ، ولست أقول من فرط تعجبى منه ، قد عقد النية فيما علمت من أنبائه على أن يكون دكتوراً مهما كلفه ذلك من جهد . على أننى لا أذكر أنى رأيت فيمن يحملون هذا اللقب العظيم من هو أشد ذهاباً بنفسه من صاحبنا هذا ، ولا من يصطنع لهجة الأستاذية والصلاعة ، ولا من يقطع بالرأى فى سرعة ويقين ، ولا من يقذف بالأحكام العريضة فى سخاء ويسر ، كما يفعل هذا الذى لم يصبح دكتوراً بعد ، وهذا هو سر إعجابى به ، فما أحسب إلا أنه غنى بذلك كل الغنى عن جميع الألقاب

كل وصف عنده ، سواء وصف ما يرضيه أو وصف ما يسخطه ، يأتى على وزن أفعل كما يقول النحاة ، فهذا أحسن مؤلف ظهر حتى اليوم ، وفلان أكبر عالم فى البلد ، وهذا أجهل رجل بكيت وكيت من المسائل ، وهذه أحسن خطة ؛ وهكذا دائماً على وزن أفعل النحاة ، أو على طريقة أفعل التجار فى مثل قولهم أحسن صنف وأفخم قماش وأجمل لون وأرخص سعر !

وهو على أهبة دائماً لأن يعارضك فيما تبدى من رأى . وليته يقارعك حجة بحجة ، أو يعنى حتى بمجرد الاستماع إلى أن تتم رأيك ، فإنك ما تكاد تشير إلى فكرة حتى تراه ينهال عليك بما حفظ من مسائل ، فيورد طائفة مختلفة من الآراء وليس يهمه إن كانت تتصل من قريب أو من بعيد بما يدور الكلام حوله ، وإنما يكفيه أنه هكذا قرأها ، وإنه ليوردها أحياناً مبتورة مشوهة فيقحمها عليك إقحاماً ، فإن غيرت مجرى الحديث لتصحح له نصوصه عاند وأصر على أن الصحيح ما يقول ، فلا مناص إذاً من أن تجد نفسك وإياه وقد خضتما فى حديث جديد لتنتقلا منه بنفس الطريقة إلى غيره ثم إلى غيره ، وحينئذ ينظر إليك نظرة الظافر ، ويبتسم ابتسامة من يرثى لضيق عقلك وقلة اطلاعك ، وإنه لأهون عليك ألف مرة أن ترضى بذلك من أن تسايره فى جدله

وإنه ليلتفت إلى متحاورين فى المجلس فما أسرع ما يجعل من نفسه خصماً ثالثاً وما سأله أحد رأيه . وإنه ليسفه كلا الرأيين المتجادلين ، فما تدرى ماذا يريد ، ثم يهجم هجومه على أسلوبه المعتاد ، فهذا الرأى أضعف ما قيل فى هذه المسألة ، وذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة ، وقول فلان هذا يرفضه أبسط متعلم ، ولا يجوز عند أقل الناس إلماماً وأضعفهم إدراكاً ، وإن الرأى الصحيح بل أدق الآراء وأحذقها هو ما ذكره العلامة فلان والفيلسوف علان فى كيت وكيت من الكتب . وإنه ليرتعش من جميع نواحيه وتهتز أطرافه من فرط تحمسه ، وتتعاقب الصفرة والحمرة على محياه الكريم ، بحيث لو دخل زائر فى هذه الحالة لما شك أنها معركة تبودلت فيها أقذع التهم وأفحش المطاعن

وإنك لتقرأ فى وجهه العجب والغضب من أنك تطاوله ، فضلاً عن أن تنكر عليه ما يقول ، فهل قرأت مثل ما قرأ أو بعضه ؟ وكيف لا تؤمن بطول باعه ورسوخ قدمه ، وإنك لتراه يتناول كل معضلة ويجادل فى كل فن ولا تغرب عن ذهنه صغيرة ولا كبيرة من المسائل ، فإن تكلم فى المجلس اقتصادى انبرى له ، وإن تحدث لغوى وثب عليه ، وإن جادل سياسى أخذه من أقطاره ، وإن شرح طبيب سبب علة أبان له وجه الخطأ فيما يقول ، وإن أرخ مؤرخ لحادث شهده بنفسه أو روى حديثاً عن عظيم طواه الموت جابهه بما يشبه التكذيب لأنه لا يمكن أن يعتقد وقوع ذلك فإنه أبعد ما يكون عن العقل وأضعف سنداً من أن يعتمد عليه

وبعد فما كانت الحماسة عيباً ، وإننا معشر المصريين لمن أكثر بنى الدنيا تحمساً فى معظم الأمور ، وإنما هو هذا المنظار اللعين يأبى إلا أن يستخرج من هذه الحماسة الشائعة ما يسوقه مساق التندر والمابثة ، وهذه صورة منها سوف تعقبها صور

الخفيف

التصوير الفني في القرآن

لمؤلفه الأستاذ سيد قطب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

نقد وتعليق

هو كتاب شاعر ناثر ناقد ، زاول الشعر والنثر والنقد ، ونجح فى ذلك كله كثيراً من النجاح .

ولا بد لمن يتناول البحث فى القرآن من جانب فنه البيانى أن يكون قد زاول التعبير الفنى ونجح فيه واتصل بفنونه اتصالا وثيقاً ، وأن يكون كذلك له ذوق وحكم وتقليب نظر فى أجواء البيان الرفيع .

ولست أقدم « المؤلف » للقراء ، فهم يعرفونه ، بل أقدم كتابه هذا الذى هو لا شك نظرة واسعة لبيان القرآن جاوزت حدود تلك النظرات القديمة المعقدة الضيقة التى كانت فى أكثرها تتخذ « وحدة » القياس البيانى فى الغالب من العلاقات والتخييلات الجزئية بين أجزاء الجملة . فتنظر لوضع اللفظ وحده فى وصلته بالحقيقة والتخييل ، وقليلا ما تتخطاه إلى الصورة الجامعة وملابساتها وما حولها من الظلال والرموز .

ومن حق المؤلف أن يحظى من النقد بالتفتيش والتتبع لما يكتبه من أدب حر ، لأنه هو يعنّى نفسه فى التفتيش والتتبع لما يكتب المؤلفون ، وتقديمه للناس وتعريفهم به . وهو عمل متعب مشكور ، له أثره فى تعريف الكاتبين إلى أنفسهم أولا ، وفى وجود صدى لا بد منه لآثارهم . وفى إثارة الأذهان نحو النقد والحكم على الآثار الأدبية ومعرفة أهدافها وتبين آثارها وأساليبها وسماتها ، وفى التاريخ لها أولا بأول ..

والذى أستطيع أن أقوله بسرعة عن هذا الكتاب : إنه ينزل إلى مكان كريم من مكتبة القرآن ، لأنه حديث جديد عميق فى أسرار بيانه ، وعرض رشيق لمذهب من مذاهب الفهم والذوق لإعجاز تعبيره .

وينزل كذلك إلى مكانه من مكتبة بحوث « البلاغة » والنقد الأدبى ، لأنه ظاهرة طيبة لتحررها من النظرة الجزئية وتسديدها إلى النظرات الواسعة الكلية التى تستوفى « الجو » العام الذى صدر فيه الأثر البيانى ، وتتلمس المناسبات الداخلية والخارجية حوله ، وتحلل العـلاقات الكثيرة بين الكاتب والمكتوب والقارئ والموضوع .

ويدخل كذلك ببعض فصوله إلى مكانه من مكتبة الأدب الفنى لأنه يكشف عن صورة للقرآن فى ذهن شاعر معروضة عرضاً جيلا بأسلوب ناثر دقيق التعبير مشرق الأسلوب ، له ذوق وحساسية وبيان ، لا بأسلوب « محصل » علم ، إن أصاب الفكرة فقد يخطئ التعبير ..

ويدخل كذلك إلى مكتبة « الفن » وأعنى به هنا التصوير بالريشة والإزميل ، فهو يضع أمام المصورين الباحثين عن المشاهد الرائعة صوراً بيانية للوحات حية مشروحة الدقائق والتفاصيل والأضواء والظلال والأطياف والشواخص والمعانى ، يستطيعون أن يتملوها ويتفرسوا فيها فيجدوا متاعاً أى متاع ..

وينزل كذلك إلى مكانه من « البحث » المستقصى والتتبع والتحقيق وجمع الحلقات المفرقة عن الموضوع الواحد . كما يتجلى ذلك فى مباحث « القصة فى القرآن » . وهى مباحث استغرقت أكثر من ربع الكتاب وتعد موضوعاً قائماً بذاته فيه .

وقد عرض فى بعض فصوله لكثير من المباحث التى تدور حول القرآن ، ولا غنى عنها لمن يريد أن يتفرس فى بيانه .

***

غير أننى أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف فى أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التى عنونه بها فى جو من المبالغة والتعميم .

ذلك أن يقرر فى الفصل الذى أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة « المفضلة » فى أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا « سر الإعجاز » فى تعبير القرآن)

فإذا تجاوزنا عن الفرق بين كلمة « أسلوب » وكلمة « تعبير » وفهمنا أن الأستاذ فى الغالب يريد من الكلمة الأولى معنى الكلمة الثانية ، إذ لا يخفى عليه الفرق بينهما ، وخصوصاً فى القرآن ، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة « المفضلة » ولا عن

إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة فى التعبير يقتضى الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية .. فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟

إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ، وليست هى الغالبة ولا الكثيرة .

فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير التكافئ المعنى واللفظ ، والذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظاً واحداً من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك به الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقاً ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصور وإثارة الخيال هى الغالبة ، وتارة تكون هى الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن فى كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه ؛ فليس التصوير الفنى وحده هو سر الإعجاز فى تعبيره كما يرى المؤلف الصديق .

وحديث سر الإعجاز حديث شغل الباحثين فى القرآن من قديم ، ولا يزال يشغلهم للآن ، وسيظل يشغلهم أبد الدهر ، ولن يصلوا إليه « ويدركوه » وقد « أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » ؛ لأننا نستطيع فى اليوم الذى « نصل » فيه إلى إدراك سر الإعجاز فى تعبير القرآن أن نستخدمه فى صنع كلام معجز ... وحينئذ لا يكون معجزاً ... ما دام مفتاحه بأيدينا وفى طوق صنعتنا .

فالمعجز من أمور الحياة هو ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه . ونحن نجد فى مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور والنموذج الإنسانى والطبيعة البشرية » إلى آخر ما قرره المؤلف من الحالات والسمات والمواقف التى رأى القرآن يعبر عنها على قاعدة التصوير التى تجعل « المستمعين نظارة » فلو لم تفلت هاتان الكلمتان من قلم المؤلف الواعى ، ولو لم يحاول أن يجعل قضية كتابه التى عنونها « قاعدة ومذهباً مقرراً وخطة موحدة وخصيصة شاملة » يفضلها أسلوب القرآن أو بالأحرى تعبيره ، إذاً لجاء المعنى الذى أراده خالياً من هذا التعميم ، ولكان موضوعه كما يحدده عنوان الكتاب هو استقراء « الصور الفنية » فى القرآن وعرضها والتعليق عليها وبيان ما فيها من روعة وأسرار .

* * *

فى الكتاب فصل عن « المنطق الوجدانى » يتصل بالمباحث العقلية حول القرآن وأسلوب دعوته إلى الإيمان بالله الواحد وقضايا الدين . وهو فصل أثار فى نفسى تعليقاً وخواطر حول بيان أساس الدين ، وهل هو الوجدان أو العقل ؟

والمؤلف يرى أنه الوجدان ، وأن الذهن ليس أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها إلى الدين .

ونظراً لخطر الموضوع وقيمته فى الدعوة الإسلامية والدينية الصحيحة عامة سأضطر إلى مناقشة هذه الفكرة التى صارت زعماً عاماً انتقل إلى المسلمين الذين أساس دينهم (بل أساس الدين الصحيح كله) العقل ؛ لأننى أعتقد أن المسلمين الآن بحاجة إلى أن يعلموا أن قضية الإيمان بالله الواحد كما استعرضها ودعا إليها القرآن ليست قضية « وجدانية » تأخذ من المجهول للنفس أكثر مما تأخذ من المعلوم لها ، بل هى فى أصلها ومنبتها الأول تأخذ من «المعلومات» ويقينيات الحس والبداهة والحكم العقلى أكثر مما تأخذ من أى منطقة أخرى من مناطق النفس البشرية ....

– فليس الموطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان ، منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة ، بل موطنها هو موطن ذلك «البرق» الذهنى أو العقلى الذى ينتج « حكما » يرسله إلى الوجدان فينفعل له ويتقبله «ويعقده» فى طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

هذا البرق الذى ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الثابتة للكون فى النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور . والذى أعلمه من علم النفس أن أول « برق» يبرق فى النفس وينطبع فيها هو حقيقة «السببية» التى تفجأ الطفل ويتحرك لها فى حركة « منعكسة » آلية عندما تلقمه أمه ثديها ، فيجد أثراً واضحاً لذلك التحريك تنفعل له أعصاب الجوع والشبع وكذلك عند ما يصل إلى عينه أو أذنه أول شعاع ضوئى أو أول صوت فيجد له أثراً فى حساسية بصره أو سمعه ، ثم لا تلبث الآثار المطردة « الأسباب » أن تتلاحق على مجمع حواسه حتى تنتج طائفة من الأحكام المطردة المبنية على الانفعالات المطردة التى يجدها فى حواسه وفيما وراءها

وهذا ما يقرره القرآن نفسه بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » فعندما يصل الناشىء إلى ترك مرحلة ذهول الطفولة وإلى إدراك الكون كله كوحدة ، لا يتجه بانفعال وجدانى إلى السبب الأكبر للكون لأن ذلك الوجدان لم يوجد بعد ، وإنما يتجه إليه بحكمه الذهنى الذى يركب قضية ذهنية منطقية فى خفاء وبدون ألفاظ ، يحكم بها بأن لهذا الكون سبباً وقدرة ومشيئة تدبره … وهى التى أدخلت الإنسان إلى الدنيا العجيبة وتخرجه منها . ولن ينفعل لهذا وجدانه « بالدين » إلا إذا صح لديه هذا الحكم . فإن لم يصح لديه أن لهذا الكون عقلا يدبره فلن ينفعل وجدانه لعقيدة دينية إلا تحت تأثير الخوف والقصور والتهيب أمام المجهول . وليست هذه مواقف الإيمان الصحيح المستنير الثابت الذى لا يتزعزع ، وإنما هى مواقف الإيمان الأعمى القلق الحائر المستعد للتقلب ، كما هو الحال فى أكثر الذين لا يأخذون الدين بالفكر عند ابتداء صحوهم من ذهول الطفولة . فالعقل أو الحكم أو « الذهن » يا صديقى قطب ، هو صاحب هذا الموضع الأول من النفس ، ينتج لها تلك النتيجة الأولية التى تجعلها تنفعل بوجدانها انفعال الإيمان . وهو الجزء « المتبلور » فى جميع النفوس — والوجدان جزء مائع — وهو الحكم الذى يكاد يكون من عالم الأرقام التى تنتج نتائج واحدة بقوانينها الواحدة .

ولن يضيره أن يكون مختلفاً فى الناس اختلافا ما . فكذلك الوجدان مختلف .

ونحن فى سبيل البحث عن حجة لله على الناس جميعاً . ولن تكون هذه الحجة فى أغلب الأمر إلا عن طريق العقل والذهن اليقينى الذى يحاكمنا الله إليه دائماً فى الحياة وفى القرآن ، ويردد اسمه دائماً ؛ ويلومنا ويقرّعنا بأننا لا نفكر ولا نعقل ولا نتدبر ولا نتذكر ولا نتخذ أسباب الوقاية كما يوحيها العقل .

نعم إن الوطن النهائى للعقيدة الحارة هو الضمير والوجدان ، ولكن بعد أن تمر من العقل أولا ويحكم بوجوب سكناها فى الوجدان لتستمد من حرارته قوة الاندفاع والعمل للدين .

وقد كان الوثنيون الذين أنزل إليهم القرآن يعتقدون عقيدة فى « وجدانهم » ويتعصبون لها ويصدرون عنها فى حياتهم ، لأن أذهانهم كانت تحكم بصحتها . فبماذا زعزعها القرآن فى وجدانهم وضميرهم ؟ أليس بالمحاكمة العقلية التى كشفت عن عقولهم ضباب الوثنية القديم ، وأدركوا بها الحق الأول بالذهن والحكم ، ثم أخلوا وجداناتهم من العقيدة القديمة وأحلوا محلها العقيدة الجديدة ؟

والوثنيات تجد فى منطق الوجدان وحده مدداً متصلا لها بالانطلاق وراء الرموز والتهاويل والإثارات الفنية التى هى باب الواجدان … وقد افتخر « طاغور » واحتج للوثنية بأنها مجال طيب لرقى الفنون … ولاشك أن هذا احتجاج طفلىّ وجدانى لا يتصل بسبب كريم بالحق والعقل والكرامة الإنسانية والمصلحة الاجتماعية . فالقول بأن منطقة الدين هى الوجدان وحده قول غير إسلامى . أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الذين لم يعرفوا الأساس الأول للاسلام والدين عامة ، والذين وجدوا فى أديانهم أسساً يأباها العقل والمنطق ، ووجدوا الدين فى حد ذاته كفاية نفسية لابد منها ، فأرادوا أن يجمعوا بين الدين والعقل ، فزعموا أن لكل منهما منطقة قد يناقض ما فى إحداها ما فى الأخرى ولا ضير ! أما الإسلام فأساسه أن إله القرآن هو الإله الذى وصفته الطبيعة ووجهت العقل اليه ؛ واعتمدت فى هذا التوجيه على المحاكمات العقلية كأساس أول وعلى المحاكمات الوجدانية المبنية على هذا الأساس ، وقد استخدم القرآن فى سبيل ذلك كله البيان المشرق الجميل البارع المعجز فى تعبيره وأسلوبه .

ولم يقصر خطابه على طائفة واحدة معينة هم طائفة الذين ارتفعوا عن المستوى العام للناس واحتكت عقولهم بما وراء سطح الحياة وما وراء البداهة والحس من عوالم الفروض والصور الطليقة من قيود الحياة الظاهرة ، بل خاطب الناس بالقدر المشترك بينهم جميعاً وخاطب هذه الطائفة الممتازة فى بعض معارضه كما خاطب المبتدئين القاصرين فى البعض الآخر

والقرآن يفرض الفكر ميزاناً قائماً بذاته مستقلا عن الإنسان ثم يعجّبه مما يراه فى الوجود ، كأنه زائر غريب عن الحياة دخل إليها من عالم آخر وهو بكل وعيه ، ولا شك أن الفكر بجميع قواه حينما يدخل إلى الوجود كأنه غريب عنه يعجب غاية العجب من بدائعه ويحكم الحكم الجازم بأنه لبارئ واحد . وليس هنا مجال تفصيل هذا ، وقد سبق أن عالجناه فى بعض البحوث .

فالموقف الأول من الكون والإيمان بربه الواحد ، موقف « جزْم » بالذهن والحكم العقلى . إذ أننا نشعر ونحس أننا

واقفون إزاء « معلومات » تنتج العلم والحكم الضرورى البديهى والمركب .

وهو موقف دينى سابق على مجىء النبوات والرسالات ، لأنها تعتمد عليه فى التدليل على قضاياها والتحاكم إليه . فالدين عقلى طبيعى فى الإيمان بأصله الأول وهو الله الواحد .

ولقد وجدنا كل جماعة دينية تؤمن بما عندها بوجدانها . فهل لهذا وزن إلا عند ما يدركون شاكلة الحق الذى عند الله والذى يوحى به الكون ؟ وهل يدرك الحق إلا بقوة « الحكم » التى هى موضع الحساسية بالعدالة والقوانين الطبيعية التى استمددنا منها حكمنا ، والتى لا تنظر إلى الصور والإطارات وإنما تنظر إلى صلب الأمور ؟

***

والقرآن لم يعن بأن يرد على منكرى وجود الله . وكأنه لم يفرض وجودهم . أو كأنه نظر إليهم على أنهم خارجون عن نطاق العقل والبداهة ، ولذلك لم يحاجهم ولم يوجه إليهم قولا يشعر بأن لهم وزناً . وإنما وجه حديثه الأكثر إلى المشركين مع الله آلهة أخرى ، الذين من فرط شعورهم بالألوهية استكثروا منها ... وخلعوا صفاتها على كثير من المخلوقات ، فهؤلاء لديهم الإيمان الوجدانى ولكنه إيمان مدخول منكوس يحتاج فى تعديله وإقامته فى نصابه الطبيعى إلى منطق عقلى يستعرض الكون ويستقرئه ويستنتج منه أنه لا إلـه واحد .

فالحديث مع هؤلاء المشركين لا يستلزم إلا الإيقاظ إلى الكون وأعاجيبه الموحية أنه من صنيعة يد واحدة ... وهذا ما فعله القرآن . أما الذين التمسوا وراء حديث الإيمان الفطرى مناطق يتحدثون فيها عن ذات الله وصفاته والكون ومبدإ وجوده وعلاقته بالله وصفاته ، إلى آخر مباحث علم الكلام والفلسفة فهؤلاء لا يدعون أنهم يؤسسون عقيدة للجمهور بكلامهم ، وإنما يريدون أن يصلوا بين هذا الكون المادى العجيب وبين ما قبله وما بعده . وموقفهم هذا موقف طبيعى ، هو نتيجة للعجب الذى يرونه فى هــذا الكون ، ونتيجة لشعورهم بأن عقلهم وحكمهم يريد أن يتصل بألغاز الحياة وما قبلها وما بعدها . فإنهم يشعرون أنهم غرباء ، فى هذا الكون المادى ذى القوى الموزونة والطلعة الجبارة المثيرة للفكر أيما ثورة . ولا بد للغريب أن يبحث ويتقصى ويتعرف المكان الذى دخل إليه ويتعرف إلى صاحبه ويبحث عن شئونه حينما ساعدت الوسائل .

غير أنهم يجب لكى يضمنوا الحياة العملية فى الأرض والألفة العقلية ألا يشردوا ويحملوا عقولهم فوق ما تطيق ، ولا ينسوا أن الإلـه الحكيم الذى وضعهم هكذا قاصرين عن إدراك كثير من الأمور ، وعن إدراك المبدأ والمنتهى إدراكا كما يشتهون ويتطلعون ، إنما فعل ذلك لحكمة بالغة هو يعلمها ، فيجب أن يلتزموا حدود « الضيافة » المؤقتة فى هذه الحياة . ولا شك يكون لهذا الالتزام ما بعده من التناسق بين الفكر والعمل والألفة العقلية . وما كان للقرآن أن يكون على أسلوب تفكيرهم الخاص وهو قد جاء ميسر الذكر للناس جميعاً .

ولكنه مكن هؤلاء العقليين والمتفلسفين أن يؤلفوا من معانيه التى تحت « سطحه التعبيرى » قضايا ذهنية يستطيعون أن يستخدموها فى أسلوبهم الخاص . فهو قد ساق قضية عقلية عظمى بأسلوب بسيط ميسر للنـاس جميعاً حينما قال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ؛ وترك للعقليين أن يبينوا كيف يكون هذا الفساد حينما يفرض التعدد فى الآلهة ...

وحينما قال : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إلـه ، إذن لذهب كل إلـه بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » . أرسل هذه القضايا هكذا واضحة ميسرة ، وترك للعقل أن يتحاكم إلى الكون ويستقرئ أحوال الأشياء إذا كانت بين والد ومولود وإذا كانت بيد واحدة ، وإذا كانت بأيد متعددة ، وعماد الحكم فى ذلك هو الحركة العقلية الآخذة من كل مورد من موارد النفس والكون وكل قوة من قواها لتصل إلى الحكم .

والمتتبع للقرآن يرى أن وراء « سطحه التعبيرى » السهل الميسر ، عالماً يموج بالمسائل العقلية والبديهية والفرضية تضع العقل البشرى فى موضع أصيل كريم كأنه هو وحدة القياس فى كل العالم لا فى الأرض وحدها .

...

وأخيراً أشكر المؤلف الصديق على هديته التى جعلتنى أعيش فترات فى جو فنى بديع ، فيه الفكر والبيان ، وحسن الترتيب والتبويب ، ولطف المدخل إلى ما تناوله من موضوعات .

عبد المنعم خلاف

هـــــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

بترول من الميكروبات ؟!

من الأخطار التى تهدد المدنية الحديثة نقص احتياطى البترول فى العالم ، فقد استنفدت أدوات الحرب كيات طائلة منه . ولهذا اتجهت انظار الساسة والاقتصاديين إلى مد أنابيب البترول عبر شبه جزيرة العرب لاستغلال آباره مع ما يتكلفه هذا المشروع الضخم من نفقات كبيرة . ولقد أجهد الكيميائيون والعلماء أذهانهم ليحصلوا على موارد جديدة تزيل المخاوف المقبلة .

وكان من أمتع الأبحاث وأغربها بحث الدكتور كلود زوبل الذى تجاوزت مدته ١٥ سنة ، قضاها لا يحفر الأرض ليعثر على آبار جديدة للبترول ، بل منقباً عن حشرة صغيرة تحول المواد الأولية إلى بترول . ووفق أخيراً إلى العثور على ضالته فكان لكشفه أهميتان مزدوجتان

أولاهما أن البحث عن آبار البترول لن يحتاج إلى حفر أغوار بعيدة ، ولا إلى استعمال المجسات المختلفة ، بل سيبحث العلماء بعد ذلك سطح الأرض للعثور على هذا النوع من البكتريا ، فإن وجدوها فقد وجدوا الآبار .

والثانية أن دراستنا لهذا النوع من البكتريا ستتيح لنا معرفة الوسيلة التى يتكون بها البترول فى الطبيعة ، فيستطيع الإنسان بوسائله الصناعية الإسراع فى إنتاجه بالمقادير اللازمة .

فمنذ خمس عشرة سنة اقتنع الدكتور زوبل بأن نوعاً من البكتريا يقبض بيده على سر إمداد العالم بالزيوت ، فنقب ودرس ماوسعته الدراسة وهو يوفق فى كل فترة إلى كشف جديد يبطل فكرة قديمة أو يقدم للعالم معلومات جديدة — فعثر على قائمة طويلة بأنواع من البكتريا لم يسمع عنها الناس ، ومنها ما تحول الدهنيات النباتية أوالحيوانية إلى مواد بترولية . ولكن الميكروبات لم تكن ثابتة الإنتاج فأحيانا تترك بقايا زيتية وأحياناً ترفض .

واتجه تفكير زوبل إلى ناحيتين ، فأما أن البكتريا تنتج البترول بشروط خاصة وإما أنه يجرب فى أكثر من نوع واحد منها ، وأى الاحتمالين يقض مضجع صاحبه . ففى أى الظروف تنتج البكتريا الزيت ؟ وكيف يحصل على البكتريا الأصيلة نقية ؟

ولكى يحقق الاحتمالين خرج إلى عرض المحيط مرات ليستخرج من قاعه عينة نقية . فمن المعروف أن أكثر الزيوت العالمية نشأ فى ظروف بحرية . وفى خلال هذا التنقيب قلب كثيراً من الأوضاع العلمية القديمة ، وأثبت خطأها ، فنفى ما قيل من أن البكتريا لا تعيش فى المياه الملحة فى أعماق المحيط .

وقال العلماء أيضاً إن الأحياء الميكروسكوبية لا تعيش فى أعماق المحيط أو الأرض لأنها تتأثر بالضغط ودرجة الحرارة فأخرج لهم زوبل أحياء ميكروسكوبية من أعماق زادت على ثلاثة أميال . وأثبت أن بعض الأحياء تعيش فى أبعد الأعماق ، وتتحمل عشرة أضعاف ضغطها وفى درجات حرارة لم يحلم بها عالم .

وغذى ميكروباته بالسكر واللحم والدهن والملح والخضروات والجيلاتين والفيتامين وأحيانا بالكعك ، فهضمت كل المواد العضوية وأنتج بعضها ثانى اكسيد الكربون أو الميثين كما حلل آخر أحجار الجير أو أطلقوا الألمنيوم من السليكا أو استخرجوا البوتاسا أو النيتروجين إلى غير ذلك من قائمة المستخرجات والانحلالات .

ولكن الموضوع الذى يحصر فيه كل تفكيره استمر على غموضه إذ تعطيه بعض الأنواع مادة زيتية لا تلبث أن تتلفها . فكيف تنتج المادة وكيف تفسد وتزول ؟ أهو قبل نوعان من البكتريا يتشابهان فى المظهر ؟

سؤال أرسل إلى رأسه الصداع مرات فإنه ليضع ١٥٫٠٠٠ حى تحت المجهر فلا يزيد طولها عن بوصة واحدة فكيف السبيل إلى التفريق بين النوعين . كثيراً ما أعطته هذه المجموعة نفسها دهنيات لازيوتا .

ولقد جرب حتى أنهكته التجارب ، وفصل الأنواع حتى أرهقه التنويع . وأخيراً هدته المصادفة وحدها إلى عزل النوع المضبوط ، لحصل على النتيجة التى يريد ، ففى إحدى المرات عزل مجموعات منها فى أوانيه الصغيرة ثم غطاها بلصقة باريس ووضع فوق الجميع شمع البارافين . وبعد أسابيع أزال الأغطية فعثر على

سائل أثبت التحليل الكيماوى أنه زيت خام . كما وجد أن التجربة التى عملها أوجدت بيئة بحرية داخل الإناء ، وأعاد التجربة مرات فإذا هو يجد نفس النتيجة .

ومن الطبيعى أن يعتبر الجزء التجارى من أبحاث زوبل فى الوقت الحالى من الأسرار العسكرية . ويقال إن بحاحه كان عظيماً حتى ليتيح تحويل جميع مخلفاتنا النباتية إلى زيوت معدنية ، على أن مبدأ واحداً أذيع وهو كيفية الكشف عن منابع البترول التى يتسرب قليل منها خلال طبقات الأرض مما يتعذر على الطرق الكيميائية معرفته، ولكن هذه « البكتريا المحللة » تستطيع بطبيعتها الخاصة اكتشاف أماكنه . فأينما وجد هذا النوع من البكتريا فإلى جواره منابع زيت .

فهذه الجراثيم الدقيقة هى الآن قائدتنا إلى منابع الزيت المختفية فى باطن الأرض لا المجسات ولا وسائل الحفر والاستنتاج .

زجاج من غير رمل

استخدمت إحدى مصانع النظارات نوعا جديداً من الزجاج للوقاية من بعض أنواع الحوامض التى تأكل الزجاج العادى ، فإن سقطت على جسم الإنسان أحرقته . وهذا النوع نقى جداً ولا يدخل فى صناعته الرمل كما هو معروف .

وينتظر أن يكون لهذا النوع من الزجاج مستقبل كبير لأن الحامض المعروف باسم هيدروفلوريك ضرورى فى كثير من الصناعات الحيوية الهامة مثل صناعة المعادن والمنسوجات والمطاط الصناعى . وكان فى أول أمره عسير الحفظ لأنه يأكل المعادن والزجاج ويصعب وضعه فى آنية .

وقد استعيض فى هذا الزجاج عن الرمل الذى يعتبر جوهريا فى جميع أنواع الزجاج بأحد مركبات الفسفور . ومن الغريب أن هذه المادة شديدة التفاعل مع الماء وتحدث فرقعة شديدة . ولكنه تيسر تذليل هذه العقبة بجعلها أقل تفاعلا مع الماء . وعلى العموم فإنه يفضل وضع هذا الحامض الشديد الأثر فى هذه الأوانى الزجاجية على وضع الماء فيها .

ولهذا الزجاج نفس خواص الزجاج العادى فينصهر فى درجة حرارة الزجاج . ويمكن صنعه فى رقائق طويلة أو مربعة أو لفه على شكل زجاجات ويسهل صقله بوسائل صقل الزجاج المعروف .

لوقاية الآذان من الضوضاء

استخدم أحد المصانع أخيراً غطاء للآذان يقيها من الصمم الناتج عن الأصوات المرتفعة . ويستخدم هذه الغطاءات رجال المدفعية فى البحر والبر فإن شدة انفجار القنابل تحدث دويا مرتفعاً يؤدى إلى الصمم الكامل

وتخفض هذه الصمامات دوى أصوات المطارق الكهربائية الضخمة وحركات الآلات الكبيرة الكافية لصم الآذان فتجعلها كصوت قطار قادم على محطة وقوفه

علاج لشلل الأطفال

لا يزال شلل الأطفال من الأمراض المستعصية فى الطب . وقد وصل الطب إلى اكتشاف علاج له على ضوء اختبارات نباتية وصناعية. فقد كانوا من قبل يجربون لإحياء أعصاب المرضى مهتدين بما هو متبع فى تقليم الأشجار بفصل الفروع التى لا فائدة منها للشجرة

وكان الأطباء يعمدون إلى قطع الأعصاب الباقية فى جزء ملتهب من الجسم بدقه بمطرقة صغيرة ذات وجهين . ونظرية الأطباء فى هذه العملية هى أنه عند ما يقطع العصب يبدأ فى النمو ثانية ولكنه فى هذه الحالة يتفرع بطريقة أقوى مما يجعله أكثر تغذية للعضلات وهو ما يحدث عند تقليم شجرة

ولكن الاستخدام اليدوى لهذه المطرقة كان عملا مرهقاً للطبيب ويحتاج إلى قوة احتمال طويلة منتظمة مما يصعب على أعصاب الطبيب تحمله :

وحدث أن زار بعض الأطباء الذين يهتمون بهذا المرض أحد مصانع الطائرات ، وهناك رأوا مطرقة كهربائية على شكل مروحة تدور فتدق أطرافها المسامير . وفى هذه المطرقة وجد الأطباء ضالتهم المنشودة فصقلوها حتى تؤدى الغرض المطلوب منها فى تقليم أعصاب المرضى بشلل الأطفال .

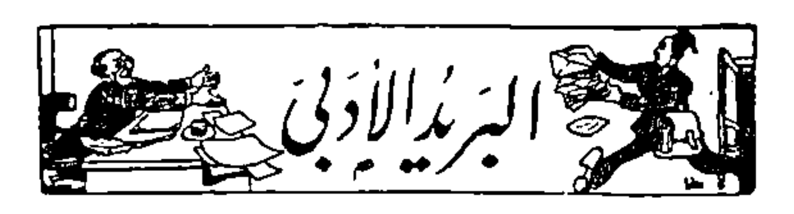
وقد أجريت التجارب فى معهد فيلادلفيا فى ٥٠٠ مريض فتحسنت حالتهم إلى حد يدعو إلى كثير من الرجاء . ويرجع فضل هذه الاكتشافات إلى إحدى المؤسسات الخاصة بعلاج حالات الشلل التى قدمت لأطبائها ما يلزمهم من أموال لإجراء تجاربهم .

فوزى الشتوى

حَنَــــــةُ غريب!!

للأديب محيي الدين صابر

مضى الرَّكبُ، يا قلبي، فأين حبائبي
وأينَ مجالاتي؛ وأين مذاهبي؟
وأين الرَّبيعُ الحلوُ؟ قد مات في يدي
وصوَّح إلاَّ صورةً في رغائبي
وأين العشيَّاتُ الرِّطابُ؟ عبرْتُني
كما تعبرُ الصحراءَ، غفوةُ راكب!
وأين غدي؟ إني دفنتُ خيالَهُ
على جدولٍ في منهل الغيب ساكبٍ!
ويومي؟ لقد كفَّنْتُه... في دموعه
بوادٍ حزينِ الظلِّ سأمانَ شاحب!
وعشتُ فضاءً ناعساً خلف ربوة
على سفحِها المحرومِ، أغفتْ ركائبي
ملالُ طريدٍ... أو سآمةُ مُدْلجٍ
ويأسُ شقيٍّ... أو تثاؤبُ شارب!
فيا موكبَ الأحزانِ عطلتَ فرحتي
وشرَّدْتَ أنغامي وأضرعْتَ جانبي!
وأطلقتني في اللَّيل؛ كاللَّيل ذاهلاً
حنيناً... كأنّي فيه دمعةُ راهب!
وأفردْتني كالنَّجم حيْرانَ ساهراً
كأني على دنياكَ... لفتةُ هارب!
وأظمأتني حتى من الوهمِ... في دمي
وكان كثيراً، كالحياةِ، مشاربي...
وأفقرتني حتى المنى... ما تزورني
وكانت يدُ الأقدار تثني مطالبي!
وأشقيتني يا ذلَّ روحي، على الذرى
وضيعةَ أيامي؛ بوادي المصائب
تمرُّ بيَ الذكرى؛ فأجثو كأنني
ضميرُ نبيٍّ... أوْ ضراعةُ تائبِ
فتنثر أفراحي، على جمرِ مهجتي...
كما تنثرُ الأشواقَ دمعةُ عاتب
أحدِّثها كالطِّفل حين تهزُّهُ...
طرافةُ لهوٍ، أو مجانةُ صاحب!
وأبكي كما يبكي الغريبُ قد التقى
بسامره — بعد النوى — والحبائب!
وأعذرُ دمعٍ... دمعةٌ كُرِّمتْ بها
محاريبُ أشواقٍ—خلتْ—وملاعب!
أحسُّ حياتي في التراب صريعةً
تساقطُ من روحي، كأنفاسِ لاغب
وأغمضُ عينيَّ أستعيدُ مباهجي
وأخدعُ حِسِّي في الليالي الذَّواهب
ليالَيَ أشباهُ حياتي... على الهوى
فيوضُ ندى الأفْقِ... رطب الجوانب
وليلى أنغام، وخمرٌ وفتنةٌ،
وسُمَّار صدقٍ... كالأماني الكواذب!
فعُدْنَ كأنَّ الكأسَ دمعٌ شربتُه
وأنَّ صدى الألحان صرخةُ نادب
على مهجتي، ماضٍ عدتْني ظلالُه
وصار حصيداً بين فأسٍ وحاطب
حنينٌ كدفْق الموج يسري بخاطري
فمن نازعٍ منه عنيفٍ، وسارب!
وأصبحتُ كالطير الغريب مفزَّعاً
على فننٍ باكِ العشيَّات، ناحبِ
فيا منهلاً عذباً وردتُ على الصبا
أنيقاً كوجهِ الرَّوض تحت السحائب!
سلامٌ على عهدي بواديكَ إنه
هو الزَّاد، في عهد النوى... والنوائب
ويا غربتي نوحي عليَّ وطرِّبي
كرجفةِ غابٍ في السَّوافي الحواصب
وهبِّي على عمري، وسوقي زمانَهُ
وذرِّيهِ في أفقٍ، على السفح غارب
فلا خير في عُمْرَيْن، ذكرهما أسىً
فمن بين مجهول، وآخرَ ذاهبِ
وحسبُك أن تأسى على ما عرَفْتَهُ
وتجزَعَ من مُستحدثٍ في العواقب



إلى خلفاء جلفر والسندباد !

تلقينا من بريد بيروت هذا الكتاب العجيب ونصه :

حضرة الفاضل مدير مجلة الرسالة الغراء

في العالم اليوم موجةٌ جارفة نحو المادة التي يتهالك في سبيلها البشر ، وتتكالب عليها الجماعات والأفراد في مشارق الأرض ومغاربها

ومنذ سنوات ونحن نراقب ما جرّته الحروب من ويلات وخطوب ، فآلمتنا هذه المطامع الدنيوية والرغبات الأرضية التي ما زالت تزدحم في صدر الإنسان منذ كان الإنسان حتى الآن ، على رغم ما توالى على البشرية من شرائع وأديان

فنحن أتباع الدكتور داهش بعد أن درسنا هذه الشؤون من جميع نواحيها ، ورأينا على أي خبث ولؤم تنطوي روح الإنسان ، وبعد أن عقدنا النية على الاتجاه نحو المثل العليا والسير بموجب التعاليم السماوية المنزلة ، ولاحظنا صعوبة تطبيقها في المجتمع الموبوء الذي يحيط بنا ، وبعد أن شاهدنا من الناس اضطهاداً رهيباً لمنعنا من نشر أفكارنا الحقة واعتناق مذهبنا بحرية ، فقد وطدنا النية على مغادرة لبنان في أول فرصة مواتية ، والهجرة إلى جزيرة نائية ، نعيش فيها أحراراً ونتمتع فيها بالحق المقدس المعطى لكل إنسان أن يفكر ويدين كما يشاء

فهل لكم أن ترشدونا على صفحات مجلتكم إلى جزيرة متوسطة الموقع ، جيدة المناخ ، ذات مياه غزيرة وهواء نقي ؟ ولا ريب أن الصحيفة التي ستهدينا قبل سواها إلى مثل هذه الجزيرة نعاهدها منذ الآن بأننا نبقى على اتصال معها ، فنوافيها بأهم الأنباء التي تتعلق بكيفية عيشنا هناك وباختباراتنا وبأطرف ما تجود به قرائحنا في تلك الوحدة الوادعة ، خصوصاً وبيننا نحن الداهشيين أطباء ومحامون وفئة تميل إلى الأدب والشعر والرسم وسائر الفنون الجميلة

فنرجو التلطف بالإجابة على كلمتنا كما أننا نرجو نشرها في مجلتكم الغراء لعل البعض من قرائكم يحبذون فكرتنا ويقررون الانضمام إلينا في السفر ، وهذا مما يقلل العقبات التي تعترض تنفيذ هذا التصميم ، والسلام عليكم

عن الداهشيين

بيروت ١٤ نيسان ١٩٤٥ **شاهين صليبي**

طبيب العيون

نشرنا هذا الكتاب بنصه وفصه كما أراد طبيب العيون الدكتور شاهين صليبي ، ثم نسأله : مَن هذا النبي الجديد ؟ وإلى أي إله ينتمي ؟ وبأي تنزيل جاء ؟ وإلى أي الأمم أرسل ؟ لقد سمعنا عن هذا الداهش أنه منوّم ماهر فكيف أيقظ هذه الفتنة ؟ إن العالم العربي يعاني اليوم مشكلة الوطن اليهودي في البر ، فهل تريدون يا دكتور أن تخلقوا للعالم العربي مشكلة أخرى للوطن الداهشي في البحر ؟ إنا على كل حال نود مخلصين أن نستودعكم (نبتون) إلى آخر الدهر ! فعسى أن نجد في خلفاء جلفر والسندباد من يدلكم على هذه الجزيرة النائية فتمشوا وتبيضوا وتفرخوا وتصفروا وتنقروا ما شاء لكم هذا الدين الجديد ... أما مكافأة الرسالة إن وجدتم هذه المملكة عن طريقها فأنْ يخصها نبيكم (داهش) بما يوحَى إليه من ربته الصغيرة ، وأن يُطرفها شاعركم (دموس) بما يصدر من شعره عن هذه الجزيرة !

إلى الأستاذ حبيب الزحلاوي

قرأت قصتك الممتعة « الأفعوان » في مجلة المنتدى التي تصدر في بيت المقدس (عدد نيسان ١٩٤٥) فأسفت أشد الأسف على ما ورد فيها من الغمز الجارح للدكتور بشر فارس ، كقولك فيها : « نسمع محاضرة صديقك الدكتور نشر فهارس في مذهب الشعر الرمزي والعقل الرمزي » وقولك : « إن صاحبك الدكتور فهارس السربوني سيتكلم عن الرمزية . وستضحك منه مع من سيصفرون له من المستمعين كما ضحكنا وسخرنا من شعره المهلهل وقصصه الرمزية الملتوية » وقولك أيضاً : « كما يقال مثلاً دكتور بيطري . ودكتور في الشعر الرمزي . ودكتور نشر فهارس » الخ

إن قصة الأفعوان لا يتصل بحثها بما بينك وبين الدكتور بشر فارس من الخصومة الأدبية في كثير ولا قليل ، وقد أقحمت اسمه فيها إقحاماً لا يرضى به الأدب رسالة الفن السامي ،

فلا يصح أن يكون وسيلة تعين على تنشيط الغرائز غير المهذبة فى الإنسان ؛ نعمل الناقد فى الأدب كعمل الطبيب الجراح ، يعمل مبضعه فى الجسم العليل بمقدار ، غير مدفوع إلى ذلك بعوامل الانتقام من المريض ، بل بدوافع الرحمة وتخفيف الآلام .

وفى الأدب الحديث نزعة خطيرة تلزم القائمين على توجيه المجلات الأدبية فى العالم العربى ، بمحاربة تلك النزعة ؛ ذلك أن القراء يريدون أن يقف الناقد الفنى إلى جانب الأديب المنتج فى حلبة صراع لا رحمة فيه ولا هوادة ، وهم يقهقهون ويغمزون ويلمزون .

وثمة نزعة أخرى لا تقل فى خطرها عن الأولى ؛ ذلك أن الناقد الفنى ينسى أو يتناسى أن عمله الأدبى لا يقل خطورة عن الأثر الأدبى الذى يتحدث عنه إلى قرائه ، فلا ينبغى له أن يسمح لفنه أن يهبط إلى مستوى المهاترات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهذبة .

إننا من المعجبين بأدبك أيها الأستاذ فنرجو أن ينصرف عملك كله إلى الفن الخالص . عفا الله عنك . وسدد فى المستقبل خطاك . والسلام عليك ورحمة الله .

(فلسطين) شريف الفيح
دكتور فى الفلسفة

إلى مؤلف كتاب « التصوير الفنى فى القرآن »

كتابك جوهرة فى الكتب كشفت عن الذكر فيه الحجب
وثبت به وثبة للعلا سواك إلى مثلها لم يثب
بلغت به منزل الخالدين فى ذكريات لسان العرب
حللت به عقدة حيرت عقول القدامى طوال الحقب
لسحر يحسونه فى القلوب وما يعرفون له من سبب
أقاموا حيارى على بابه قنوعاً بنشوتهم والطرب
حيارى ... ولكنهم مهتدون بفيض سنا منه لا يحتجب
إلى أن أتيت بمفتاحه فصاحوا على الفور: هذا عجب !
أجدك ننشد مفتاحه دهوراً ؟ ومفتاحه عن كثب !

* * *

تبارك منزل قرآنه على سيد البشر المنتخب
تلألأ معجزة فى الدهور
تدول — وما إن يدول — الشهب!

به نالت الفخر أم اللغات عزت وعز بنوها النجب !
لغات الورى من ردىء النحاس إذا الضاد شبهتها بالذهب

(المنصورة) علي أحمد باكثير

فى جامعة فاروق

أقام نادى فاروق لطلبة الجامعة يوم الأربعاء الماضى ١٨ أبريل مهرجاناً للشعر اشترك فيه أبناء الجامعة الشعراء ، وقد خصصت جوائز أدبية لأحسن القصائد ، وكان المحكمون الأساتذة : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، وصديق شيبوب ، وأحمد عبد الهادى

وقد اشترك فى هذا المهرجان من كلية الآداب الأستاذ حسن ظاظا المدرس بالكلية ، والطلبة والطالبات الشعراء والشواعر : فاطمة على حسن ، وكمال نشأت ، وحميد عبد الجليل ، ونفوسة زكريا ، ومحمد العشماوى ؛ ومن كلية الحقوق : سالم حق ، وحسين البشبيشى ، وعبد العزيز خاطر

وبعد أن ألقى المتسابقون قصائدهم أنشد الأساتذة : خليل شيبوب ، وحسن ظاظا ، وأحمد أبو شادى ، بعضاً من أشعارهم

وإنا لنرجو أن يكون هذا المهرجان الشعرى فاتحة عهد زاهر للشعر فى الثغر ، ولا سيما بعد وجود جامعة فاروق التى نرجو أن تكون باعثة على إحياء نهضة ثقافية كبيرة فى الإسكندرية

إنصاف فهمى
كلية الآداب بالإسكندرية



المـــارسليز

للقصصى الروسى ليونيد اندرييف

ترجمة الأستاذ شكرى محمد عياد

كان نكرة ؛ له روح أرنب واستسلام دابة . وعندما رماه القدر بسخريته اللئيمة بين صفوفنا السود ، ضحكنا كالمجانين حين فكرنا أن مثل هذه الأخطاء الشنيعة الفاحشة ترتكب حقاً . أما هو فقد بكى . وما رأيت قط رجلا تهمى من عينيه الدموع بهذا اليسر والوفرة . كانت تسيل من عينيه وأنفه وفمه ، كان أشبه بإسفنجة غُمست فى الماء ثم اعتُصرت . ولقد رأيت فى صفوفنا رجالا يبكون ، ولكن دموعهم كانت ناراً تجفل منها الوحوش الضارية . كانت تلك الدموع الجبارة تسرع بالوجوه إلى الهرم ولكنها ترد العيون شابة من جديد . كانت أشبه باللابة المنطلقة من أحشاء الأرض الملتهبة ، تترك على سطح الأرض آثار الحريق ، وتدفن تحتها مدنا بأسرها من الخُدَع الحقيرة والهموم التافهة . أما هذا الفتى فكان حين يبكى لايعدو أن يحمر أنفه ويبتل منديله ؛ ولعله كان يعلق مناديله صفا لتجف ؛ فقد كنت أسائل نفسى أنى له كل تلك المناديل ؟

كان طيلة عهد النفى يلجأ إلى ذوى السلطان الحقيق أو الموهوم ، ينحنى ويبكى ويحلف أنه برىء ، ويتوسل إليهم أن يرحموا شبابه ، ويعاهدهم ألا يفتح فاه طوال عمره إلا ضارعا أو شاكراً . ولكنهم كانوا يضحكون منه كما كنا نفعل ، ويسمونه « الخنزير الصغير الحقير » ، وينادونه : تعال ياخنزير ! فيهرع إليهم خاضعا ، راجيا فى كل مرة أن يسمع نبأ عودته إلى وطنه ولكنهم كانوا يهزلون . كانوا يعلمون مثلنا أنه برىء ، غير أنهم يظنون إذ يعذبونه أنهم يرهبون غيره من الخنازير الصغيرة ، كأن هذه الخنازير الصغيرة فى حاجة إلى مزيد من الخور . ولقد يأتى إلينا يدفعه فزع حيوانى من الوحدة ، ولكن وجوهنا كانت صلبة لاتلين ، وكانت مغلقة من دونه ، وعبثا كان يبحث عن المفتاح ؛ فإذا حار فى أمره دعانا رفاقه وأصدقاءه ، ولكنا نهز رؤسنا ونقول :

— حذار ! قد يسمعك أحد ! .

فلا يخجل الخنزير الصغير أن يلتفت إلى الباب !

أكنا نستطيع عند ئذ أن نمنع أنفسنا من الضحك ؟ كلا ، لقد كنا نضحك بأفواه ألفت الضحك منذ عهد بعيد . ثم يتشجع ويهدأ ، ويقرّب مجلسه منا ، ويحدثنا ، ويبكى كتبه العزيزة التى خلفها على المنضدة ، وأمه وإخوته الصغار ، الذين لايدرى أأحياء هم أم أهلكهم الروع والأسى .

أبينا قرب النهاية أن نتصل به . ولما بدأ الإضراب عن الطعام أصابه الفزع ، فزع مضحك لاسبيل إلى وصفه . وكان من الجلى أن الخنزير الصغير المسكين نهم تلقامة ، وكان شديد الخوف من رفاقه ومن السلطات أيضا . فجعل يهيم بيننا جزعا ، يمسح بمنديله جبينه الذى نضح عليه شيء لاأدرى أهو الدمع أم العرق ثم سألنى متردداً :

— هل ستضربون طويلاً عن الطعام ؟

فأجبته بغلظة :

— سنضرب طويلا .

— أو لا تأكلون أى شيء خفية ؟

فأجبته بجد وكأنى أوافقه :

— سترسل إلينا أمهاتنا الفطائر .

فنظر إلى مرتابا ، وأومأ برأسه وذهب وهو يتنهد .

وفى اليوم التالى أجاب وقد اخضر لونه من الجوع فصار كلون الببغاء :

— أيها الرفاق الأعزاء ! إننى سأصوم معكم .

— فأجبناه بصوت واحد : صُم وحدك !

ولقد صام ! لم نصدق ذلك كما أنك لن تصدقه . فظننا أنه يأكل بعض الأشياء خفية ، وكذلك ظن حراسنا . فلما أصابه تيفوس المجاعة فى أخريات الإضراب هزونا أكتافنا وقلنا :

— ياللخنزير الصغير المسكين !

ولكن واحداً منا — ذلك الذي لم يضحك قط — قال واجما :

— إنه رفيقنا . فلنذهب إليه .

كان يهذى وكان هذيانه المضطرب يثير الإشفاق كما كانت حياته كلها . كان يتكلم عن كتبه العزيزة ، وعن أمه وإخوته . كان يطلب حلوى ، حلوى باردة كالثلج ، حلوى لذيذة . وأقسم أنه برىء ، وسأل العفو ، ونادى فرنسا وطنه العزيز . ويا لضعف القلب الإنسانى ! لقد مزق قلوبنا بصيحته : يا عزيزتى فرنسا !

كنا جميعا فى الحجرة وهو راقد يموت . واسترد وعيه قبل الموت ، ورقد صامتا صغيراً ضعيفا ، ووقفنا نحن رفاقه صامتين . وسمعناه نحن جميعا يقول :

— غنوا علىّ المارسليز حين أموت .

فصحنا وقد انتهبنا مزيج من الفرح والغضب الثار .

— ماذا تقول ؟

فردد . غنوا على المارسليز حين أموت .

ولقد كانت عيناه جافتين للمرة الأولى ، ولكننا بكينا ، بكينا جميعاً . وكانت دموعنا ملتهبة كالنار التى تجفل منها ضاريات الوحوش .

مات . وغنينا عليه المارسليز . كنا نغنى هذه الأغنية العظيمة — أغنية الحرية — بأصوات طامئة شابة ، والمحيط يرددها متوعداً ؛ وأواذى الموج تحمل إلى وطنه العزيز فرنسا فزعا شاحبا وأملا فانيا .

أصبح إلى الأبد شعارنا ذلك النكرة ، بجسمه الذى يشبه أرنبا أو دابة ، وبروحه الإنسانى العظيم ! ركوعا أيها الرفاق والأصدقاء !

كنا نغنى ! وكانت البنادق مصوّبة إلينا ، وأقفالها ترن منذرة ، وأسنة الحراب موجهة إلى صدورنا تتهدد ، ولكن الأغنية المتوعدة ظلت تدوى عالياً عالياً ، والتابوت الأسود يتأرجح فى أكف عماليق .

كنا نغنى المارسليز !

شكرى محمد عياد



فلم « قبلة في لبنان »

تأليف الأستاذين : سليمان نجيب بك ويوسف جوهر
إخراج الأستاذ أحمد بدرخان — إنتاج شركة اتحاد الفنيين

الموضوع

زوجة شابة من سيدات الطبقة الراقية تسافر وحيدة إلى لبنان ، وهناك تلتقى بشاب مصرى ويتعارفان ويتفاهمان ويساعد الجو الشاعرى على أن تصحو العاطفة فى قلبيهما ، وتنتهى هذه اليقظة الفاجئة إلى قبلة خاطفة تنبه الزوجة إلى الخطر المحدق بها فتختفى عن عين الفتى وتعجل بالعودة إلى القاهرة من غير أن تحيط أسرتها علماً بهذه العودة ، وتفاجئ زوجها يقبل فتاة فى بيتها فتثور (طبعاً) ويعلم والد زوجها بما حدث فيسخر هذا الوالد العصرى من ابنه الذى لو كان مثل أبيه لما استطاعت زوجته أن تضبطه متلبساً بفعلته ... ثم يعلم هذا الوالد بما كان بين زوجة ابنه وبين من تعرفت به فى لبنان — بعد أن حاول عبثاً حملها على أن تغفر لزوجها خطيئته — فيستغل ما استكشفه من سر العلاقة التى ربطت بين الزوجة الشابة والفتى فى لبنان . والصورة التى كانت قد التقطت لها . فيتهددها بهذا السر فتنزل على إرادته وتعفو عن زوجها من غير أن يعرف الزوج عن خطيئتها شيئاً ، ويتلقى الفتى المحب هذا الدرس القاسى فيذهب إلى غير رجعة ...

هذا ملخص لقصة الفيلم ، وقد سبق للفرقة المصرية أن قدمت هذه القصة بالذات وأسمتها (كلنا كده) ودار حولها نقاش وكان مما قيل فيها : إنها تسيء إلى الأخلاق والكرامة بالصورة التى أرادها المؤلف للطبقة الراقية فى مصر . ولست أدرى لماذا وقع اختيار اتحاد الفنيين على هذه القصة لتكون باكورة إنتاجهم . وإن كنت أدرى أن مثل هذه القصة ليست صالحة لتكون فيلماً نظيف الصورة رفيع الفكرة ...

التمثيل

قام سليمان نجيب بك بدور (محسن باشا) وقد أراد له المؤلف أن يكون والداً من الصنف الذى يفهم (العصرية) على أنها سخرية بالأوضاع واستهانة بالتقاليد فكان له ما أراد ، ولهذا لم تتسن لسليمان بك فرصة فنية تقتضيه بذل جهد ممتاز .

وقام أنور وجدى بدور (سامى بك) وهذا دوره الذى يجيده ، وقامت مديحة يسرى بدور (فتحية هانم) فأبدعت حقاً وعرفت كيف تجيد التعبير عن إحساسات مختلفة فى براعة فائقة ، وقام محمد فوزى بدور (منير) ويمكن أن نعتبر هذا الدور بداية طيبة إذا اعتبرنا صاحبه وجهاً جديداً ، وقد وفقت زينب صدقى وفردوس محمد وهاجر حمدى ، وكذلك نجحت النجمة الجديدة ليلى عبده ودلت على استعداد يؤهلها لأن تكون نجمة لامعة ، ووفق أيضاً فؤاد شفيق ومحمد كامل .

الأغانى :

ألف أكثرها أحمد بدرخان فدل على طول باعه فى التأليف ، ولحنها وغناها محمد فوزى فدل على أنه يمشى فى طريق النجاح . وكلها تشهد ببراعته فى التلحين والموسيقى التصويرية .

الصوت والإضاءة والديكور :

كان الصوت سيئاً جداً فى كثير من المشاهد ، وكانت الإضاءة خير ما فى الفيلم وكذلك الديكور .

الإخراج :

اضطلع به الأستاذ أحمد بدرخان وهو مخرج شاب له موهبته وثقافته ومقدرته ، وقد بذل جهداً كبيراً فى الإخراج ولكن تفاهة القصة جعلته كجندى يحارب فى غير ميدان .

وبعد :

فإن من الشائع عندنا أن الذين يؤلفون للسينما يسيرون وراء المؤلف الغربى ويأخذون عنه ويقتبسون منه ويحاكونه . ناسين أو متناسين أن لكل بلد جوه ومزاجه وتقاليده . وقد تجلت هذه الظاهرة واضحة فى قصة هذا الفيلم . وقد تستساغ مثل هذه القصة فى البلاد الغربية لأنها لا تتنافى مع ما ألفوه من عادات وتقاليد ، ولكنها فى مصر لا يمكن أن تستساغ ولا أن تهضم ...

... كم أتمنى أن تقوم عندنا نهضة فنية صحيحة ! ! نعم كم أتمنى ! !

عبد الفتاح متولى غبن